سير أعلام شهداء الثورة السورية

القائد العسكري أبو جميل قطب - يوسف بن جميل قطب

جمع و ترتيب : أبي الوليد الحنفي

جمادى الأولى 1443 هـ

المقدمة

الحمد لله سميع الدعاء، واسع العطاء، جابر المصائب والأرزاء، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وإمام الأتقياء، من عمت دعوته الأرجاء، وقهر بسيفه الأعداء، وأمنت سنابك خيله الأشلاء، وعلى آله وصحبه صلاة دائمة ما توالى الإصباح والإمساء..

وبعد؛

فهذ سيرة الشيخ المجاهد الصابر الورع التقي الأبي الشجاع يوسف قطب، المكنى بأبي جميل.

وقد اعتمدت في جمع سيرته وتدوينها على شهادة أقربائه وإخوانه وأصدقائه، وهم:

- الشيخ أبو محمد الصادق.
- أخوه أبو شكيب قطب.
- الشيخ أبو جابر هاشم الشيخ.
- الأخ أبو زيد عقربات.
- الأخ أبو زيد بنش.
- أخته، وقد نقل لي شهادتها ابنها أبو أسامة.
- الأخ أبو أسامة، ابن أخته.
- القائد العسكري أبو صالح طحان.
- الأخ أبو جابر صفر.
- زوجته، وقد اتصلت بها زوجتي ونقلت لي شهادتها.
- إصدار مرئي من إنتاج المكتب الإعلامي لحركة أحرار الشام الإسلامية بعنوان «الشيخان»، يتحدث عن أبي جميل وأبي يوسف رحمهما الله.
- عدد من المقاطع المرئية القصيرة، وفيها خطبة أبي جميل رحمه الله قبيل دخوله المعركة واستشهاده.
- رثاء نشرته أسرة تحرير مجلة نور الشام.

ولادته ونشأته:

ولد في ريف إدلب في مدينة سراقب عام 1975م، ولما بلغ من العمر خمس سنين انتقلت به أسرته إلى مدينة بنش؛ حيث درس المرحلة الابتدائية فيها في المدرسة الريفية، ثم الإعدادية والثانوية في مدرسة ممدوح شعيب، إلا أنه لم ينل شهادتها.

تقول أخته: كان من صغره يلعب مع نفسه في الغرفة آخذا دور الفدائي الفلسطيني، ولما بلغ من العمر أربعة عشر عاما فرّ إلى لبنان وعمل مع جبهة التحرير الفلسطينية، ثم تركهم وعمل في لبنان وضعف تدينه، إلى أن التحق بما يسمى خدمة العلم حيث التزم مجددا، وكان يبكي عندما يرى المجازر التي يرتكبها الصرب في البوسنة.

نشأ يوسف في أسرة متدينة ملتزمة تخاف الله وتخشاه وتحافظ على الفرائض، وكانت أسرته مغضوبا عليها من قبل النظام النصيري البعثي؛ فبين الفينة والأخرى كان والده يُطلب لمراجعة فرع المخابرات، مع أنه كان شرطيا، فرُبّي يوسف على الالتزام والتدين وعلى أداء الصلوات في المساجد.

كان أبو جميل منذ صغره محبا للزعامة والرياسة والتصدر، وقد أعانه على ذلك صفات الرجولة التي كان يتمتع بها، وقد اشتهر بأنه (مشكلجي وصاحب مراجل)، وقد سافر إلى لبنان وعمل في بيع الخضار والفواكه هناك، وكان عمله يدر عليه ربحا وفيرا، إلا أنه ترك ذلك كله من أجل الجهاد.

الانقلاب الكبير في حياته:

استمرت حياة أبي جميل حافلة بالعنتريات حتى التحق بما يسمى خدمة العلم -وكان اختصاصه رامي شيلكا-، فأخذ يصلي الفرائض كعادته، إلا أنه فوجئ بضابط نصيري يهدده قائلا: الصلاة ممنوعة هنا، وإذا رأيتك تصلي مجددا فسأرسلك إلى

السجن، فلم يبال أبو جميل بكلامه، غير أن هذا الموقف أحدث تغييرا كبيرا في حياته؛ فقد شعر أن هناك عداء شديدا بين النصيرية والمسلمين، وأن حقدا أسود في قلوب النصيريين على الإسلام، ثم إن ضابطا سنيا من مدينة كفر نبل أشفق على أبي جميل وخشي أن يناله مكروه، فقال له: إذا أردت الصلاة فتعال إلى مكتبي ولا تعرض نفسك للخطر.

كما تأثر أبو جميل كثيرا بأخيه عبد الباقي، وكان شابا ملتزما محبا لدينه مبغضا للطواغيت ساعيا لنصر دين الله باحثا عن طريق لجهاد أعداء الله.

بعد أن تسرح أبو جميل من الجيش عاد إلى لبنان، وهناك تعرف على بعض المشايخ كالشيخ أبي محمد الصادق، واستفاد منهم، وأحب الجهاد في سبيل الله، فصار يدخل إلى بعض المواقع الجهادية على الإنترنت ويتصفحها.

اعتقاله الأول:

وقد عزم أخوه عبد الباقي والعدناني -صار خارجيا بعد ذلك وعُيّن ناطقا باسم تنظيم الدولة- وأبو جميل على الذهاب إلى العراق والجهاد هناك؛ فأما عبد الباقي والعدناني فتمكنا من الدخول، وأما أبو جميل فقُبض عليه عند الحدود السورية العراقية وتمكن من خداع المخابرات السورية إذ إنه أوهمهم أنه ذاهب ليقاتل مع نظام صدام حسين ولم يعلموا أنه كان ينوي الالتحاق بتنظيم القاعدة، فسجن لمدة سبعة أشهر فقط تنقل خلالها بين عدة أفرع من دير الزور إلى إدلب إلى دمشق.
قلت: جزم ابن أخت أبي أسامة أن أبا جميل دخل العراق أثناء الاحتلال الأمريكي ثم عاد منها، ولما حاول الرجوع إلى العراق مجددا لم يتمكن من ذلك، وذكر أبو أسامة بعض ما تذكره من مواقف قصها عليه أبو جميل عندما كان في العراق، ومن ذلك أن حاجزا أمريكيا استوقفهم وأخذ يسألهم بعض الأسئلة ثم خلى سبيلهم، وما إن قطعوه بمسافة يسيرة حتى تعرض لتفجير من قبل بعض المجاهدين، وكذلك ذكر لي أبو زيد بنش وهو من كتيبة أبي جميل أنه دخل العراق.

زواجه وأولاده:

أطلق سراح أبي جميل في عام 2004، فتزوج امرأة من بنش، ورزق منها عام 2005 بابنته صفية، ثم اعتقل مجددا، ثم رزق بعد إطلاق سراحه بابنتين نور عام 2012م وميمونة عام 2013م، ثم بابنه يوسف عام 2015، وكانت ولادته بعد استشهاد أبيه الذي وصى أن يسمى المولود يوسف إن كان ذكرا.

تقول زوجته: كان نعم الزوج ونعم الوالد لأبنائنا، تعلمت منه كثيرا، كان داخل البيت حنونا جدا يحب أسرته، مرضيا من والديه، محبوبا من جميع إخوته.

وتقول: عندما رزقنا بنور وميمونة فرح أبو جميل جدا، فكان إذا دخل البيت ترك مشاكله وهمومه وأقبل عليهن يلاعبهن ويضاحكهن وكأنه في مثل سنهن، كان داخل البيت مرحا بعيدا عن الصرامة والشدة عكس ما يكون خارج البيت.

وتقول: ربى أبو جميل ابنته صفية لتكون ذات شخصية قوية، رباها على فصاحة اللسان والحس الأمني، كانت بعد خروجه من السجن كيده اليمنى تساعد أباها في كثير من الأمور، تفتح الباب إذا طرق، وتسأل القادم من هو، وكأنه كان يشعر بقرب أجله فاهتم بصفية جدا وتعلمت هي منه كثيرا، علمها التوحيد وعلمها أن الله هو الرزاق، ولا يمكن لأحد أن يأخذ شيئا مما قسمه الله لك، ولا يقدر أحد أن يأخذ شيئا لم يقسمه الله له.

اعتقاله الثاني:

كانت الأفرع الأمنية للنظام تستدعي أبا جميل كثيرا لمراجعتها بعد إطلاق سراحه، ومع ذلك فإن هذا لم يثنِ أبا جميل عن متابعة نشاطه الجهادي، فقد كان ضمن خلية جهادية مكونة من الشيخ أبي محمد الصادق وأبي جميل وأخيه عبد الباقي والشيخ أبي يوسف البدوي.

وكان اعتقال أبي جميل في 24 / 10 / 2005 م.

يقول الشيخ أبو محمد: لما بدأ الغزو الأمريكي للعراق أهمه ما أهم عامة المسلمين، وبدأ النشاط بيني وبينه، وكان معنا الشيخ أبو يوسف بدوي وشباب آخرون، وكانت أعمالنا تصب في خدمة الجهاد في العراق، وأراد أن ينفر بنفسه لكنه اعتقل على الحدود السورية العراقية ومكث مدة وجيزة في السجن ثم خرج ليتابع نشاطه، إلى أن اعتقل واعتقلنا في 2005، وكانت الدعوى التي ننتمي إليها قد سميت بدعوى طلاب العلم؛ لكثرة من فيها من طلبة العلم والمشايخ، وفي السجن التفت أبو جميل إلى حفظ القرآن.

يقول أبو جميل رحمه الله: حفظني الشيخ أبو يوسف بدوي أربعة وعشرين جزءا من القرآن.

وكان من عمل أبي جميل تهريب المجاهدين إلى العراق بسيارة أجرة عمومية له بعد أن يقوم عبد الباقي بتزوير الأوراق اللازمة.

وقد دفن هذا السلاح في بنش واستمر مدفونا حتى قامت ثورة الشام فاستخرج منها وقوتل به النظام.

ومن الطريف أنه كان لوالد يوسف شجرتي تين يحبهما جدا فدُفن السلاح تحت إحداهما مما أدى إلى قطع عروقها أثناء الحفر فأخذت تزوي وتجف، فكان جميل يمر بقربها حزينا ويقول: ما لها؟ كأن عينا أصابتها، فلما استخرج السلاح في بداية الثورة، قال جميل: الآن عرفت لماذا جفت التينة.

وكان أبو يوسف وأبو جميل في المليحة في دمشق يوزعان أموالا ومساعدات على أسر المجاهدين، فألقي القبض على الخلية، وسيق أبو جميل وأبو يوسف إلى الأفرع الأمنية، وتعرض بيت أبي جميل هناك لعملية تفتيش دقيقة، ولم يعثر فيه على شيء، مع أنه كان يحتوي على مواد معدة لتصنيع المتفجرات وكواتم صوت، إلا أن طريقة إخفاء أبي جميل لهذه الأشياء كانت ذكية جدا منعت الأمن من اكتشاف مكانها.

سجن أبو جميل في فرع فلسطين سنة وتسعة أشهر، ولقي هناك ألوانا من العذاب تشيب لهولها النواصي، فقد قلعت أظافره بالكماشة، وثقبت عضلة ساقه بالمثقب، فضلا عن العدد غير المحدود من الضرب في الدولاب.

يقول الشيخ أبو محمد: بعد تسعة أشهر من اعتقالنا في فرع فلسطين أخرجونا مرة إلى التحقيق ووضعونا في مهجع كبير، وبطحت وأنا بثيابي الداخلية فقط، فكان المحقق يأتي فيضرب ويأخذ الأقوال ثم يذهب إلى أبي جميل ليطابق بين كلامنا، ثم أحضر أبا جميل وكان بثيابه الداخلية أيضا وبطحه بالقرب منا، وانهال علينا ضربا، ثم خرج وتركنا، فالتفت إلى أبي جميل والتفت إليّ وأخذنا نضحك فقد اشتقنا لبعضنا جدا، فجاء المحقق، فقال: تتكلمون؟ أديروا وجوهكم إلى الحائط، ثم خرج فعدنا إلى الكلام.

ويقول: ومما أذكره ولا أنساه أن المجرمين عندما أرادوا نقلنا من فرع فلسطين إلى صيدنايا أخرجوني أنا أولا إلى الساحة فجلست، ثم أخذ ينادي الأسماء، فيخرج الإخوة واحدا تلو الآخر ويقفون على الحائط، فلما خرج أبو جميل ورآني أشرق وجهه، ولا أزال أذكر جمال وجهه وهو ينظر إليّ ساعتئذ، ثم أخرجوا محب الدين وهو يتوكأ على رجلين لشدة ما ناله من العذاب، فتألمت لحاله جدا وشعرت أن سكاكين قد غرزت في صدري، ثم أخذونا إلى فرع التحقيق فأجلسونا في غرفة صغيرة، وأحضروا معنا الأمانات، وفي ضمنها مكتبتي كاملة، فقيل لي: هذه كتبك؟ فقلت: نعم، فقيل: قم أنزلها، فلما قمت، قيل: لا، ليخرج اثنان وينزلونها، فخرج أبو جميل مبادرا وشخص آخر فأنزلوها، فلما رجع قال لي: ما هذه الكتب، لقد كسر ظهري، لم يتركوا كتابا في مكتبتك إلا وأحضروه.

يقول أبو زيد عقربات: كنت في فرع فلسطين في المهجع رقم أربعة، وفي 24 / 12 / 2005 صرنا نسمع أصوات تعذيب شديدة، فصرنا ندعو الله أن يخفف عن هذا الأخ الذي يعذب، وبعد ثلاثة أيام من التعذيب فتح باب المهجع ورمى السجان إلينا بأبي جميل قطب، وكانت ساقه مليئة بالجراح والدماء، فقد كان يضرب بكبل رباعي

مُسَلَّخ، وما إن أغلق الباب حتى هب أبو جميل واقفا كالحصان، وكنا نظنه سيموت لكثرة ما نال من العذاب، فقال لنا: ماذا عندكم من طعام؟ فأنا منذ ثلاث لم أذق سوى الماء فأعطاه بعض السجناء بطاطا مسلوقة وخبز فأكل.
وعرضت عليه بعض الأغراض فرفض أن يأخذ منها شيئا سوى كنزة، ثم أهداها لبعض إخوانه.

ونظرا لسوء حالة أبي جميل لكثرة التعذيب فقد وضع في قسم القدامى؛ إذ إن المهجع كان له نظام في النوم، والقدامى لهم مكان أفضل من غيرهم في المهجع. وكانت زيارته ممنوعة، واستمر المنع إلى أن حول إلى فرع صيدنايا، وظل معتقلا فيه إلى عام 2011م، وشهد هناك الاستعصاءات التي جرت هناك، وقد سمح بزيارته وزيارة أخيه عبد الباقي بعد الاستعصاء الأول، فكانت هذه الزيارة الأولى والأخيرة لعبد الباقي.

فقد قيل لأسرهم أثناء هذه الزيارة: بعد شهر سيتم أخذهم إلى المحكمة وهناك يمكنكم رؤيتهم ثانية، إلا أنه بعد تسعة وعشرين يوما اتصل أبو جميل بأهله ليخبرهم أن عبد الباقي استشهد أثناء الاستعصاء.

يقول الشيخ أبو جابر: كان في الاستعصاءات صاحب موقف وله دور في تثبيت الشباب، ولكنه لم يكن من أصحاب الغلو أو أصحاب الشعارات الضخمة البعيدة عن الواقع، ولم يكن هلعا خانعا جبانا، شارك في الاستعصاء بشكل فاعل في التكبير وتثبيت الناس، وصنع بندقية من خشب وركب لها نابضا إلا أنها كانت ضعيفة جدا، وكان من أعز أصحاب عبد العزيز عرموش.

تقول زوجته: كان السجن بالنسبة له مدرسة دينية وأخلاقية؛ فدرس فيه عقيدة أهل السنة والجماعة، واشتغل بحفظ القرآن ودرس إعرابه، كما تعلم التمريض، ونال قسطا من اللغة الإنكليزية، تعلم الصبر والجلادة، وكان يعتبر السجن امتحانا وابتلاء، وبعد أن خرج من السجن تغير كثيرا نحو الأفضل، وكان يقول لي: السجن كان خيرا لي.

استشهاد أخيه عبد الباقي:

يقول الشيخ أبو جابر: قدم ألف ومائتا عسكري بعد بدء الاستعصاء فدخلوا السجن، فتمكن السجناء من دحرهم بل واعتقلوا أعدادا كبيرة منهم، واستطاع السجناء أن يحطموا الجدران، ففتحت المهاجع على بعضها، وصعد بعض السجناء إلى سطح السجن وفيهم عبد الباقي، وجمعوا تلا كبيرا من أحذية الجنود العسكرية، وأضرموا فيها النار، وكان القصد من ذلك لفت الأنظار ليأتي إعلام الجزيرة وينقل ما يجري إلى العالم، فقام النظام بإطلاق الرصاص الحي على السجناء، فاستشهد خمسة من السجناء كان عبد الباقي أحدهم، فجعل السجناء يضعون العساكر الأسرى في المقدمة ليكونوا دروعا لهم، ثم أنزل الشباب جثمان عبد الباقي وكان يلبس قميصا أبيض كنت أهديته إياه سابقا، رأيت أبا جميل جالسا بجانب جثمان أخيه ولم أر في عينه دمعة، إلا أن وجهه كان باديا عليه الحزن العميق العظيم، كان هذا الحزن ليس لأنه فقد شقيقا فحسب بل لفقده من كان يعتبره ركنا وشيخا له، كان عبد الباقي صاحب علم وعبادة وكان فقده خسارة لنا جميعا، ومما زاد في ألم أبي جميل أنه كان يفكر بشدة وقع الخبر على والديه، فقد كانا يحبان عبد الباقي حبا جما وكان بهما شديد البر، ولم أر أبا جميل في حياتي حزينا كحزنه عند مقتل أخيه.

يقول أبو زيد: رأيت عبد الباقي قبل مقتله ببضع دقائق وكان يرتدي قميصا قصيرا، والهم يبدو عليه، فقلت له: ما لك؟ فقال: رأيت في المنام أني حمامة بيضاء أطير وأرتفع، فقلت له: قوِّ عزمك، ثم صعد السطح فاستشهد، فأنزله الشباب ووضعه أبو جميل على فخذيه، وكانت المرة الأولى التي أرى فيها أبا جميل ضعيفا هكذا، ومرت أحداث الاستعصاء وكان أبو جميل دائما في المقدمة، وبعد اتفاق اللجنة مع النظام على إخراجنا إلى سجن عدرا كان أبو جميل رافضا الذهاب في البداية، فقلت له: يا أبا جميل إن كانت شجاعة فلست أشجع مني ولا أشك بشجاعتك، ولكن أعطني سبيلا للخروج من السجن دون أن نقتل، وعندها سأظل معك، فقال: كيف أترك أخي؟ ماذا سأقول لأبي؟ فقلت له: فكر بم ستقوله لربك وليس لأبيك، فاقتنع بالذهاب إلى عدرا، وقال لي: جزاك الله خيرا، فنقلنا إلى عدرا ثم أعدنا إلى صيدنايا وقد صفحت مهاجعه بالحديد، ثم لم ألتق بأبي جميل حتى خرج من السجن في 11 / 9 / 2011م.

يقول الشيخ أبو محمد: في صيدنايا شارك بحفر النفق بأدوات بدائية جدا، وقد وصل طول النفق المحفور إلى ستة وثلاثين مترا، وكان أثناء الاستعصاء يرابط في النقطة الأولى، وكانت نوبتنا معا.

يقول ابن أخته: كتب لنا وهو في السجن على كيس، كتابة لا تتضح إلا بتسليط الضوء عليها، وكان يأمرنا فيها ألا نخرج إلى تحية العلم في المدرسة، وأن نتدرب على رياضة كيك بوكسنغ والجمباز إلى أن يخرج من السجن.

وفي عام 2011 نقل أبو جميل إلى سجن حلب المركزي، ومن هناك أطلق سراحه في الشهر التاسع بعد أن قضى ست سنين في السجن تقريبا، وهي المدة التي حكمها. تقول زوجته: خرج بقدر الله، مع أنه كان موجها إليه ثلاثون تهمة.

يقول الشيخ أبو محمد: خرج أبو جميل من السجن قبلي، فأخذ يتابع الأوراق اللازمة لإخلاء سبيلي.

مشاركته في الثورة السورية:

بعد خروج أبي جميل من السجن عام 2011م زاره أحمد عساف، وقال له: نريد تشكيل كتيبة ونبدأ العمل العسكري، فقال أبو جميل: الأفضل أن يكون عملنا في الخفاء وليس العلن.

وتم تشكيل كتيبة صغيرة عددها خمسة عشر شابا، من ضمنهم الشيخ أبو يوسف بدوي؛ لتقوم ببعض العمليات العسكرية في ضرب حواجز النظام ونصب الكمائن لقوافله وإمداداته، ولم يلبث أحمد عساف أن استشهد رحمه الله مع شاب آخر يدعى أبا الخير في أول عملية عسكرية، وغنمت الكتيبة بعض الأسلحة، فأطلق أبو جميل على الكتيبة اسم كتيبة الشهيد أحمد عساف، وكان أبو جميل يتشدد في قبول العناصر.

وفي فلم «الشيخان» لقطة تظهر أبا جميل وهو في مظاهرة في بنش ومعه طفلة صغيرة الظاهر أنها ابنته صفية.

تقول زوجته: بعد خروجه من السجن بدأ العمل وكان عمله خارج البيت فلم أعرف عنه شيئا؛ لأن أبا جميل كان يحتفظ بسره ولا يفشيه إلا لمن يحتاج معرفته، وكان يتمتع بحس أمني عال.

ويقول أبو صالح: تعرفت إلى أبي جميل بعد رجوعي من لبنان نهاية عام 2011 وذلك بمشورة أخي الذي كان في السجن، فقد قال لي: يوجد شخص اسمه يوسف قطب تعرف إليه واتصل به، فذهبت إلى بيته فاستقبلنا والده، فسألناه عن أبي جميل، فقال: هو في المسجد يصلي العشاء وسيعود بعد قليل، وأصر علينا أن ندخل، فدخلنا ولم نلبث إلا يسيرا حتى حضر أبو جميل، فرحب بنا ودار بيننا حديث، وأبو جميل انفعالي الطبع، فاحتد النقاش بيننا بسبب خلاف في وجهات النظر.

وبعد يومين توفيت والدتي رحمها الله، فجاء وعزاني، وكانت الجلسة هادئا وتوثقت العلاقة بيننا، كان أبو جميل أحد ستة أشخاص قاموا بتأسيس كتائب أحرار الشام، ثم غادر الكتائب بسبب بعض الفوضى والإشكالات، وقام بتشكيل الطليعة، ونصحته وقتها ألا يخرج من الكتائب، وقلت له: سترجع لا محالة، وبالفعل عاد إلى الأحرار بعد الاندماج مع حركة الفجر وغيرها، وصار اسم التنظيم حركة أحرار الشام.

يقول أبو جابر صفر: عرفته بعد خروجه من السجن في الشهر التاسع من عام 2011، وكنت في سرية البراء بن مالك في عدد من الشباب يجمعهم المنهج السلفي، ومعظم عملنا في تصنيع الألغام، وبعد أن خرج أبو جميل من السجن كان يمول عملنا، ثم انخرط في العمل العسكري وجلب سلاحا، وقام بجولة سافر فيها إلى حلب والدير ليجمع الشباب الذين خرجوا من صيدنايا، وتطور عملنا في التصنيع حتى صرنا ندرب المجاهدين من مناطق مختلفة على ذلك، وكان عملي يتعلق بالتفجير عن بعد.

ثم كان أحد ستة أشخاص قاموا بتشكيل كتائب أحرار الشام؛ وهم: الشيخ حسان عبود، وأبو طلحة العسكري، وأبو جميل قطب، وأبو يوسف بدوي، وأبو أنس سراقب، والسادس أبو الخير طعوم، وكان التشكيل بعد استشارة الشيخ أبي محمد الصادق، وكان الشيخ ضد إدخال القاعدة أو أن تكون الكتائب محسوبة عليها.

تسلم الشيخ أبو جميل مسؤول المعسكرات لكتائب أحرار الشام، وفي الشهر الثالث أو الرابع من عام 2012 ذهبنا إلى أحد معسكرات الكتائب، وفي نهايته تم استطلاع حاجز للنظام في جنديرس وتقرر ضربه، وكان أبو جميل قريبا من العمل لكنه لم يشارك فيه، واستشهد أحمد عساف وشاب آخر وجرح ثلاثة مجاهدون.

وفي الشهر السادس شكلت جبهة ثوار سوريا، وألقى البيان الختامي أبو مصطفى علاقات، وكانت فيه بعض البنود التي تخالف ما تأسست عليه الكتائب، فاتصل أبو جميل بأبي عبد الله الحموي وأخبره أنه خارج الكتائب حتى يتم تدارك الأمر، وكان هذا السبب الرئيس لخروج أبي جميل، وهناك أسباب أخرى كانتشار الفوضى والعشوائية وغياب التنظيم، وأبو جميل يحب التنظيم جدا.

بعد خروجه من الكتائب شكل الطليعة الإسلامية، ولم يكن المقصود بها الانتماء إلى الشيخ مروان حديد رحمه الله، إنما المقصود أنها مقدمة الجيش، وكانت العناية في هذا التجمع مصرفة إلى التدريب وتخريج أكفاء وقادة، وكان أبو جميل يرى أن هذا الوقت فرصة يجب استغلالها بالإعداد لما بعد هذه المرحلة التي كانت سمتها الفوضى، وكنت المسؤول العسكري للطليعة، فعلمنا على فتح المعسكرات وتدريب الشباب وشراء السلاح النظيف الجيد، كما اشتركنا في معارك مدينة حلب، وكانت مشاركتنا مع جماعة فجر الشام، فقاتلت الطليعة في السكري وصلاح الدين وسيف الدولة، وفقدت عددا من مقاتليها، ثم خرجت من حلب.

دربت الطليعة في هذه الحقبة مجموعة من القناصين كانوا الأفضل على مستوى الساحة أداء وتسليحا، كما كانت المجموعات المقاتلة في الطليعة منظمة ومجهزة

بكل ما تحتاج إليه؛ ففي كل مجموعة يوجد رشاش بكس وقاذف أر بي جي، وكانت الفصائل المجاهدة تحرص على وجودنا في المعارك لارتفاع مستوى المجموعات قتالا وتسليحا وتنظيما.
ويقول أبو صالح: كان أبو جميل يكره السلطة والمناصب ويبتعد عنهما، ولكنه في الوقت نفسه أول من يتحمل المسؤولية ويبادر في الأزمات.

جرت مرة مشكلة في معبر باب الهوى -وكان وقتها مشتركا- بين الأحرار وجمال معروف، فكان أبو جميل أول من وصل إلى هناك على رأس رتل، وهكذا هو يسارع في كل مشكلة ليحلها.

وكذلك قدم على رأس شبابه وتصدى لتقدم الجيش في منطقة النقارين في حلب واستشهد عدد من رجاله، وفي معارك السجن المركزي شارك فيها واقتحم مرتين بنفسه مع أنه كان مريضا ولكن دفعه إلى ذلك حرصه على فك أسر إخوانه، ولم يكتب لمعارك السجن الفتح.

يقول أبو زيد: لقيت أبا جميل في أطمة، فمازحته، فقال لي: أنت تمزح والشباب محاصرون في حرش كللي، فقلت له: أنا جاهز ما المطلوب؟ فقال: أريد طريقا أخرجهم، فقلت له: الأمر سهل إن شاء الله، واتصلت بأبي يوسف بدوي وكان مع المحاصرين، فأخبرني بمكانه، فدللته على طريق، وقلت: سأنتظركم هناك -وكان مظهري لا يدل أبدا على أن لي علاقة مع المجاهدين وذلك للتمويه-، فوصل الشباب فاصطحبتهم حتى وصلنا كفر دريان.

استشهاد أحمد عساف:

خططت الكتيبة لضرب حاجز يقع في منطقة الأكراد، ثم انطلقوا فتسللوا، فشعر بهم النظام، وجاء الشبيحة وآزروا الحاجز وفتحوا النار عليهم، فاستشهد أحمد عساف، وسقط جثمانه في منطقة خطرة، فأصر أبو جميل على إحضار جثمانه، وتكبد لذلك مشاق عظيمة.

قامت الكتيبة بضرب عدد من حواجز النظام، وازداد عددها، وانتسب لها شباب من خارج بنش، وما زالت تكبر حتى وصل تعدادها إلى أربعمائة وخمسين شابا، وكانت تتولى الرباط على قرية الفوعة، وحولت من كتيبة إلى كتائب الطليعة، وبعدها اجتمع أبو جميل بقادة الأحرار وتم تشكيل كتائب أحرار الشام.

يقول الشيخ أبو محمد: بعد خروجي من السجن زرته في بنش، فأخذ يشرح لي عن كتائب أحرار الشام، وذلك في نهاية عام 2011م، فقال لي: أحرار الشام تمثل فكرنا الذي كنا نحمله داخل السجن: الحفاظ على الثوابت والمبادئ والوسطية والاعتدال في الطرح والسلوك، والبعد عن الغلو والتفريط، والمرونة في التعامل مع الناس، والاستفادة من هامش المباح والمتاح في الشرع والواقع، وخفض الجناح للناس، واستيعاب الآخرين ولو تباينت مشاربهم الدينية، وتطبيق مفهوم ثورة شعب مع الحفاظ على المبادئ الدينية، وهي هوية الشعب، وقال: هذا هو المشروع الذي نسير عليه في كتائب أحرار الشام، ودعاني إلى الدخول في هذا المشروع، فقلت له: نويت إذا أطلق الله سراحي من السجن أن أخرج من ضيق التنظيمات وأعمل للناس بشكل عام، وأنا معكم قلبا وقالبا، ولكن أبعدني عن المسائل الرسمية والأمور التنظيمية، ولم أدخل إلى الأحرار بشكل رسمي إلا مضطرا بعد الفراغ الهائل الذي خلفه مقتل القادة لا سيما في الجانب الشرعي، وكان دخولي وقتها بإلحاح شديد من أبي جميل.

يقول أبو زيد: كنت أجمع الأموال والتبرعات من معارفي وأقدمها للمجاهدين مع أبي جميل، فقال لي أحد الإخوة: لا تحضر لنا فروجا، فإن أبا جميل يتلفنا في التدريب في اليوم الذي تحضر لنا فيه فروجا.

وعمل أبو جميل على جمع معارفه وإخوانه في مشروع حركة أحرار الشام.

يقول الشيخ أبو جابر: زارني أبو جميل في مسكنة بعد تحريرها، وكان معه عدد من الشباب، وحضني على الانضمام بمن معي إلى مشروع حركة أحرار الشام، فذكر

لي واجب اجتماع الكلمة ووحدة الصف وأن نصبح جسما واحدا، فوافقت والتقيت بأبي عبد الله الحموي وبايعت الحركة، وكان لأبي جميل دور في ذلك.
تقول زوجته: كان سباقا إلى كل خير وخاصة المعارك، يأبى إلا أن يكون فيها.

ويقول أبو جابر صفر: شاركت الطليعة في معركة الدويلة ومعركة تحرير قرية المنطار في ريف حلب الجنوبي، وأبهرت مجموعات الطليعة الفصائل بحسن تنظيمهم وتسليحهم، ثم شاركت في معركة مطار تفتناز الأولى، وقد تخاذل فصيل ولم يقدم السلاح المطلوب فلم يعد بالإمكان اقتحام المطار، غير أن أبا مصعب الإماراتي قرر أن تكون عملية خاطفة هدفها الإثخان في العدو وتدمير أكبر عدد ممكن من الطائرات وذلك للحفاظ على معنويات المجاهدين الذين جمعناهم وأحضرناهم من المعسكر مباشرة حفاظا على سرية العمل، وكانت عملية تنكيل في العدو ناجحة، ثم كان العمل الثاني في مطلع عام 2013، وكان من المقرر استغلال حالة السكر والعربدة التي يكون فيها العدو في رأس السنة، لكن تم تأجيل العمل؛ لأن الخبر وصل إلى العدو فظل في حالة احتراس، ثم كان العمل وكان الفتح بفضل الله.

وفي 27 / 1 / 2013 كان الاندماج بين عدد من الفصائل منها الطليعة، وأعلن عن ميلاد حركة أحرار الشام الإسلامية، وقد اتفق أبو جميل مع أبي عبد الله الغاب أن الحركة لن تكون كالكتائب، فلا بد من التنظيم والترتيب والعمل وفق النظام المؤسسي.

تم إحداث مكتب التواصل، ومهمته إيصال مشاكل الناس إلى الشيخ أبي يوسف مسؤول مدينة إدلب، كما تم دعم المؤسسات والمجلس المحلي في عملهم، وقدمنا مقرا للهيئة الإسلامية لإدارة المناطق المحررة، وكانت كتيبة المحكمة بعتادها ورجالها منا .

يقول أبو زيد: كنت أساعد أبا جميل في شق العساكر عن النظام، وأضع أسرى في بيتي، ثم بدأ دخول المجاهدين إلى مدينة حلب، فنزل أبو جميل إلى السكري إلى جامع فاطمة عقيل (استمر مقرا للأحرار قرابة شهر ونصف فيه طعامهم ومبيتهم)،

وعند اقتحام حي سيف الدولة اتصل بي، وقال: اترك الأمنيات، الإخوة مزقوا وأنت تنام في بيتك -وكنت أتنقل في مناطق النظام بسيارتي وعليها علم النظام-، فجئت مسرعا إليه، فإذا شهيد وجريح، فنقلتهما من السكري إلى تل الزرازير إلى الراموسة (لم يكن هناك فواصل بين المناطق المحررة والمحتلة والناس تنتقل بينهما في سياراتهم)، ودرت حول دوار الراموسة ومررت من أمام كلية المدفعية ثم تابعت طريقي إلى ثلاثة آلاف شقة إلى دوار الموت ثم إلى دارة عزة، وسلم الله فلم يوقفني أي حاجز للنظام، وفي دارة عزة التقيت بأبي جميل كما اتفقنا، فأخذ سيارتي والشهيد، وأخذ سيارة أخرى والجريح فنقلته إلى تركيا، ودخل معه أخي أبو حفص، ثم دفن أبو جميل الشهيد ورد إليّ سيارتي.

ويقول: اتصل بي أحد القياديين في الأحرار، وقال لي: هناك شباب في جسر الحج في حلب أريد أن تحضرهم إلى بنش، فذهبت إلى حلب فحملتهم في سيارتي وانطلقت، وعهدي بالصواغية محررة ويرابط فيها شباب أبي أيمن رام حمدان، ولم أعلم أن الرافضة استعادوها، فلما وصلت أوقفني الحاجز، فأخذت أمزح معهم ظنا أنهم تابعون لأبي أيمن، فاستنفروا ووضعوا البندقيات في رؤوسنا، فقلت لهم: أرسلوا لي الحجي، فقبضوا علينا وبقينا في الفوعة عشرة أيام، ثم حولنا إلى الأمن العسكري، وبلغ الخبر أبا جميل فقال: طالما أنه في الفوعة فأنا لا أقدر على التدخل؛ لأني إن فعلت قتله أهل الفوعة لشدة العداء بيننا، ولكن إذا حول إلى الأمن العسكري سعيت في إخراجه إن شاء الله، ثم حولت إلى الأمن العسكري وبقيت فيه أربعة عشر يوما، فجاءني شخص، وقال: أنت فلان؟ فقلت: نعم، فقال: أرسلني أبو جميل لأطمئنك وترتاح، نحن نتابع أمرك منذ لحظة اعتقالك، فظننته فخا من النظام، فقلت: لا أعرف أبا جميل ولا غيره، ثم حولت إلى المحكمة، فمكثت فيها يوما وبعض يوم ثم أطلق سراحي مع الشباب الذين قبض عليهم معي، ودفع أبو جميل مقابل إطلاق سراحنا عشرين ألف دولار، وبعد خروجي اتصلت بأبي جميل، فقال لي: اركب سيارة أجرة خاصة وتعال، لا تركب حافلة مشتركة، فقلت له: أريد سيارتي من الفوعة، فقال: تعال وخذ مني بدلا منها، فلما وصلت بنش كنت مقملا بسبب السجن، فقال لي ممازحا: لا تدخل بيني أنت مقمل، ثم جلست عنده واعتذرت من

الشباب، وبعد مدة وجيزة اتصل بي أبو جميل، وقال: أريدك أن تذهب معي إلى حلب، عندي موعد مع الشيخ أبي جابر، فقلت له: أنا منذ شهر غائب عن الساحة ولا أعرف المتغيرات في الطرقات، كما أني لا أقدر على الذهاب معك حتى تستأذن من أبي، فجاء أبو جميل إلى أبي واستأذنه، فقال لي أبي -وكان يعلم أن أبا جميل هو من أخرجني من السجن-: اذهب مع أبي جميل حيث يقول لك، وبينما أستعد للذهاب إذ بمشفى أطمة ينادي أنه بحاجة ماسة إلى تبرع بالدم، فقال أبو جميل: جاهزون؟ فذهبنا وتبرعنا جميعا، ثم قلت لأبي جميل: أنا لا أعرف الطريق بعد كفر حمرة، فقال: خذنا إلى هناك وجزاك الله خيرا، فسرت بهم حتى وصلنا إلى قرية كفر حمرة وإذا بالجيش الحر هناك يقول: ارجعوا ارجعوا، فقلنا لهم: نريد طريقا إلى حلب، فقالوا: هذا الطريق سالك الأشرفية ثم الشيخ مقصود، فظننت أن الشيخ مقصود تحررت حديثا -وكنت أسكن فيها فأنا أعرفها جيدا-، فسرنا حتى وصلنا قريبا من فرع الجوية؛ وإذ بمدفعية النظام ترمي بحممها نحونا، فقال أبو جميل: أتريد أن تقتلنا؟ فاتجهنا إلى بني زيد وكانت تخضع لخالد حياني فسمحوا لنا بالمرور، ثم إلى الشيخ مقصود فاستوقفنا حاجز للبيشمركة معظمهم نساء، فقالوا لنا: أين تريدون؟ فقلنا: الشيخ مقصود، فقالوا: أهلا وسهلا، ثم قال بعضهم لبعض باللغة الكردية: اطلبوا مؤازرة، وكنت أعرف اللغة الكردية قليلا، ففهمت أن أمرا يدبر، ورأيت على الحاجز كرديا كان جارا لي، فنزلت إليه وسألته: ما الأمر؟ فقال: أرسلوا يطلبون مؤازرة ليعتقلوكم، فتظاهر أنك تدور بسيارتك واهربوا بسرعة، فصعدت إلى السيارة وأخبرت أبا جميل، فقال لي: حارتك، آخر عمري تعتقلني امرأة؟ فدرت بالسيارة ومضيت بها مسرعا إلى طريق النهر حتى نجونا، ثم وصلنا إلى الشيخ أبي جابر ليلا، ومضت الأيام وأعلن عن مشروع الحركة بعد توحد عدد من الفصائل تحت اسم حركة أحرار الشام الإسلامية، وعُهد إلى أبي جميل بالملف الأمني، وأرادني على العمل معه، فعملت مدة وجيزة ثم اعتذرت، ومرت الأيام فلقيت أبا جميل في الرقة، وأخبرته أني سأحج بيت الله الحرام، فقال: خذني معك، فاتصلت بالأخ الذي سأخرج عن طريقه، فقال لي: سجل اسمك واسمه، وطلب أوراقا فأحضرها أبو جميل، وخرج باسم غير اسمه، وانطلقنا سويا إلى مكة، وكان أبو جميل حريصا على اغتنام وقته في التعبد، لذلك كان يعتذر عن كثير من الدعوات، وقد يحتال حتى يتخلص منها

ويستعين بي على ذلك، وأثناء حجه توفيت والدته فتأثر بذلك كثيرا، وكنا نذهب إلى الحرم من الصباح إلى العصر، وربما اعتمر في اليوم الواحد ثلاث عمر، فقلت له: ألم يكن مذهبك عمرة واحدة؟ فقال: وفاة الوالدة أثرت بي.

وذات مرة ركب أبو جميل مع سائق سيارة أجرة فسار حتى وصل قبل المكان الذي نريد، وقال: انزلوا، فقال أبو جميل: أنا من بنش وأهل بنش لا أحد يضحك عليهم، أوصلنا وخذ مائة ريال، فرفض السائق، وغضب أبو جميل، فأبى السائق قبول أجرته، فرماها أبو جميل ونزل، وندم بعد ذلك وصار طوال الطريق يستغفر الله.

موقفه من الخوارج:

يقول الشيخ أبو محمد: قبل أن تشتعل المعارك مع الخوارج حرص أبو جميل على دعوتهم ومناظرتهم حرصا على حقن دماء المجاهدين.

كان أبو جميل من أول الناس استجابة لنداء الشيخ أبي جابر عندما بدأ إجرام الخوارج في مسكنة، فقد أرسل الشيخ أبو جابر يطلب من الحركة مؤازرات لصد تقدم الخوارج والحفاظ على مدينة مسكنة، فوجد تباطؤوا من معظم قيادات الحركة، إلا أن أبا جميل سارع إلى نجدته والقتال معه.

يقول الشيخ أبو جابر الشيخ: في أثناء قتال كتيبة مصعب بن عمير تنظيم الدولة في مسكنة طلبت مؤازرات من الحركة، وتكلمت مع أبي عبد الله الحموي وحثثته على المسارعة بإرسال مؤازرات، وأخبرته أن تنظيم الدولة جلب مؤازرات له من الطبقة والرقة وعندان والباب، لكن الحركة لم تستجب إلا في وقت متأخر بعد سقوط مسكنة بيد الخوارج، غير أن أبا جميل استجاب فورا فقدم على رأس خمسة وعشرين شابا، وكان له دور كبير في الدعم المادي والمعنوي، وبقي معنا في مسكنة إلى أن تراجعنا إلى منبج، وبعد قدوم أبي جميل بخمسة أيام أرسل لنا لواء الإيمان ستين شابا، ثم قدم أبو حمص رتيان وقمنا بمحاولة لاستعادة مسكنة، وشارك فيها أبو جميل، وتمكنا من الوصول إلى معمل السكر وتحريره، ولم نستطع متابعة التقدم، ثم سقطت المنطقة بأسرها لاحقا.

وقد كان أبو جميل صديقا مقربا من طه فلاحة أبي محمد العدناني المتحدث الرسمي باسم تنظيم الدولة، وقد عرض على أبي جميل مرارا الالتحاق بالتنظيم فرفض.

يقول أبو صالح: عندما بدأت فتنة الخوارج في مسكنة شكلت خلية أزمة ضمته مع الشيخ أبي عبد الملك وأبي سارية وأبي آدم، وأظن أن الشيخ أبا يزن كان معهم، فانطلق أبو جميل على رأس رتل إلى هناك ليؤازر الشيخ أبا جابر، وعندما قدم عمر الشيشاني برتل من الرقة بعيد القصة المكذوبة من وجود نساء مهاجرات عند الجيش الحر وقد اغتصبهن، فاعترضه أبو جميل ومنعه من العبور، مما اضطر الشيشاني إلى البحث عن طريق آخر ليمر به.

وعندما قام الدواعش باغتيال الشيخ أبي خالد السوري كان أبو جميل في المكان، وقد فتح النار على أحد المهاجمين فإما قتله وإما اضطره إلى تفجير نفسه.

ويقول أبو جابر صفر: في بداية الجهاد جاءه العدناني ليطلب منه الانضمام إلى النصرة -وكان يعرفه قبل ذلك، فقد كان أبو جميل مسؤولا عن خط الجهاد من لبنان إلى العراق، وكان قد أرسل العدناني إلى العراق، وكان أميره ويحبه جدا-، فلما التقى العدناني بأبي جميل مد يده إليه، وقال له: بايع، -وبيعة أبي جميل تعني انحياز المنطقة إلى النصرة-، فقال له أبو جميل: أأنت صاح؟ ألا تعرف أميرك الذي أرسلك إلى العراق لتأتي الآن وتقول له: بايع؟

وكان يتواصل مع العدناني بداية حدوث المشاكل كمشكلة حزانو عندما قصف الخوارج القرية فاستشهد بعض المسلمين، فحلف العدناني أنه لا علم له بالأمر وأن الفاعل سيحاسب، ثم تبين لأبي جميل أن العدناني كان يكذب.

وقد قال لنا أبو جميل: والله ما كان أحد أحب إليّ من العدناني، وهو الآن أبغض الناس إلي بسبب إجرامه وجرأته على الدماء.

وكان عند بداية المشاكل مع الخوارج وقبل أن يعلنوا خارجيتهم يغلِّب موضوع التحاكم ويسعى إلى تحاشي الصدام، حتى اشتط الدواعش واشترطوا شروطا تعجيزية لقبول التحاكم، وازداد فسادهم وظهرت جرأتهم على الدم الحرام، فعزم أبو جميل على قتالهم، وشرح الله صدره لذلك، فقال لي: اجمع لي كتيبة أحمد عساف القدامى منهم، فجمعتهم في المقر، ووافق ذلك ظرفا عندي فطلبت منه إذنا، فقال: ألا تريد أن تسمع، فقلت: لا داعي لذلك أنا مبايع خذ القرار وأنا معك، وكنت تعمدت ذلك دون اتفاق مع أبي جميل لأعلم الشباب أن السمع والطاعة للأمير فرض طالما أن الأمر شرعي.

ثم أفهم أبو جميل الشباب أن تحاشي قتال تنظيم الدولة وتجنب الاصطدام معها إنما كان من أجل الحفاظ على الساحة، ولم يظن أحد أن يرفضوا التحاكم إلى شرع الله، وقال: لقد حاولنا جاهدين إفهامهم أن تجربة العراق لا يمكن استنساخها هنا، ثم هم يصرون على عدم الفهم.

وعندما شكلت خلية الأزمة من أجل التعامل مع الخوارج كان أبو جميل أحد أعضائها، وذهب على رأس قوة إلى مسكنة لمؤازرة الشيخ أبي جابر هناك.
حاول الخوارج اغتياله فوضعوا له عبوة لاصقة في سيارته في يوم ذهابه إلى الحج.

يقول الشيخ أبو جابر: كان أبو جميل من أوائل من تكلم في غلو تنظيم الدولة، مع أن له فيهم أصدقاء، فقد كان صديقا للعدناني من أيام العراق، وكان شيخهما الشيخ أبا محمد الصادق، وقد حدثني أبو جميل أن العدناني نشأ في بيئة قاسية جدا، وكان والده شديدا عليه، وأخبرني أن العدناني أرسل له يدعوه للالتحاق بالتنظيم، ولم يكفره بشكل مباشر، إنما قال له: تعال إلينا ولا تبق مع الكفار، ومكانتك عندنا محفوظة، وذلك في عام 2015م.

بعد استشهاد القادة وأهم المناصب التي شغلها:

يقول الشيخ أبو جابر: اتصل بي بعد مقتل القادة ليلا، وقال: هناك أمر ضروري ويجب أن تحضر، فذهبت ولا أعرف ماذا جرى، وعندما وصلت أخذ بيدي وتنحى جانبا، وقال لي: الحركة ليس فيها من هو أنسب منك للقيادة، وأنا أطلب منك طلبا إذا عرض عليك هذا الأمر فلا ترفض ولا تتورع الآن، ثم عقد مجلس الشورى وكان لأبي جميل دور أساسي في السعي لتعييني أميرا للحركة.

يقول أبو صالح: ثم استشهد القادة وعلمت بالخبر، فانطلقت إلى مقر الجناح العسكري، واتصلت بأبي جميل، وسألته: أعلمت بالخبر؟ فقال: نعم، أين أنتم؟ فذكرت له، فقال: قادم، ثم اجتمعنا في عقربات، فكان لأبي جميل دور كبير في تعيين قيادة جديدة في الحركة في ذات الليلة، وعدم ترك فراغ يستغله بعض المتربصين والطامعين، وفي الاجتماع عين أبو جابر أميرا للحركة، وكان لأبي جميل دور في ذلك، ثم طلب مني أن أكون قائد الجناح العسكري، فرفضت، وقلت: أرجع إلى الحركة أما القيادة فلا، فأصر على ذلك، واستعان بأبي جابر، فقال لي: إذا أردت ضياع الدماء والأموال والمقدرات فلا توافق، فأخافني ذلك، وقبلت، واشترطت أن يتسلم أبو جميل الملف العسكري الخارجي، فوافق على ذلك، ثم ألقى بيان تعيين القيادة الجديدة قبل الفجر أو بعده بقليل.

وفي الاجتماع طرح اسم أبي جميل ليكون أميرا، فرفض، وقال: أنا ليس معي شهادة، وهناك فرق بين أن يقال أبو فلان وبين أن يقال المهندس فلان.
كنت أستعين بأبي جميل في المهمات، فكان يلبيني دائما، وينزل من تركيا مسرعا.

ثم قرر الشيخ أبو جابر نقل أبي جميل من الملف العسكري الخارجي إلى نائب أمير الحركة في الشؤون العسكرية، فساعدني ذلك كثيرا.

يقول أبو جابر صفر: تسلم الملف الخارجي وذهب إلى تركيا، فدعي إلى اجتماع في فندق، فلما دخل شاهد خمورا في الفندق، فاستدار وخرج، ولم يحضر الاجتماع، وقال: أنا في المكان الفلاني إن أردتم لقائي، أما هذه الأماكن فليست لنا.

وقد جعل أبو جميل اللقاءات ثلاثية، وتلقي المال عن طريق لجنة مؤلفة من سبعة أشخاص هم فقط من يستلم المال ثم يسلمونه إلى المالي العام للحركة.

تسلم الشيخ الملف الأمني ستة أشهر في مطلع عام 2013، ثم سأل الشيخ حسان عبود بالله أن يعفيه من هذا الأمر؛ لأن العمل الأمني مبني على سوء الظن ويرافق ذلك تجاوزات من الأمنيين وظلم للعباد، ولا يعلم أبو جميل ببعضها ولا يقدر على ضبط البعض الآخر لعدم المركزية في العمل، فالأمني يتبع لأمير قاطعه ويسمع له، وكان أبو جميل يخاف من الدماء ويبغض الظلم، ثم انتقل أبو جميل إلى المعسكرات.

يقول الشيخ أبو جابر: كان عضوا في مجلس شورى الحركة، إلا أنه كان يتذمر من بعض الاجتهادات التي تصدر من القيادة، إضافة إلى أنه سريع الغضب، ومن طبعه أنه يغلب عليه العمل أكثر من التنظير، ويحب العمل أكثر من الكلام والتخطيط؛ لذلك تغيب عن حضور جلسات الشورى مدة طويلة أثناء ولاية أبي عبد الله الحموي واستمر إلى استشهاد القادة، كما تسلم الملف الأمني في الحركة لمدة ثم تركه لتقصير الحركة معه، وقد تضايق من ذلك جدا، ثم تسلم مسؤول المعسكرات، ثم تسلم نائب أمير الحركة للشؤون العسكرية؛ ليكون متابعا للملفات العسكرية مع الفصائل ويكون بيني وبين القائد العسكري أبي صالح طحان، كما عينته مسؤول المكتب الخارجي؛ لأني أثق به وبدينه وأعلم أنه لا يباع ولا يشترى ولا يفرط في دينه لأجل حطام الدنيا، وهو أنسب رجل للتعامل مع المخابرات، وقد رفض رفضا شديدا في البداية هذا المنصب، ثم قبله على مضض شديد.

وكان للشيخ أبي جميل السبق في تأسيس أول معسكر لكتائب أحرار الشام في أحد الجبال في ريف إدلب، كما اهتم بعد ذلك بمعسكر أسود الحرب في الحركة، وهو معسكر لتخريج القوات الخاصة.

أخلاقه:

يقول الشيخ أبو جابر: تعرفت إليه في السجن، ومنذ أن رأيته لمست فيه صفات الرجولة والشهامة، كان معي في مهجعي، وفي السجن تحدث مشاكل كثيرة فكان أبو جميل صاحب موقف لا يخشى أحدا، كان يخدم إخوانه ويهتم بالنظافة جدا، وإذا لاحظ تقصيرا من البعض في المهجع تكلم بصوت عال، وكان يفصل بين المتخاصمين بحزم وقوة.

ويقول الشيخ أبو محمد الصادق: منذ أن تعرفت إليه في لبنان في عام 2001 وجدت فيه سمة محبة أهل العلم والصدر عن قولهم ورأيهم، ووجدت فيه محبة هذا الدين والمسلمين عامة، يخفض الجناح لإخوانه ويسابق في خدمتهم، واستمر على هذا حتى استشهاده.

ويقول: كان صادق اللهجة صريحا لا يعرف اللف والدوران والخداع، ذا همة عالية جدا، حتى إني كنت لقبته ب (الدينمو) لتوليده الطاقة عند غيره، كان مقداما شجاعا، وهذا ظاهر في المعركة التي استشهد فيها، فقد كان بين جنوده بل في مقدمتهم، وكان له في السجن مواقف تدل على شجاعته وإغاظة أعداء الله وتقديره لأهل العلم، فلما كنا في فرع الدوريات -وهناك دائما مرجعيات للسجناء من أهل العلم- أراد مدير السجن ويدعى أبا جعفر إذلال المرجعيات أمام السجناء، فرأى غسالة تحتاج تنظيفا، وكنا وقوفا، فقال لي كوني أعتبر شيخا للشباب: انزل إلى الأسفل ونظفها، فلما سمع ذلك أبو جميل أدرك مراد الخبيث، فقال لي مباشرة: دع عنك يا شيخ، ثم نزل ونظفها بنفسه، فأخذ مدير السجن ينظر ويتعجب.

ولما كنا في صيدنايا كان هناك دور لتنظيف أواني الطعام للمهجع جميعا، فكان يحاول ألا تنزل أسماؤنا في الدور، وكنا نرفض ذلك إذ إننا لا نريد أن نتميز على السجناء بشيء، فإذا نزلت أسماؤنا كان يحاول جاهدا أن يقوم بذلك بدلا عنا.
ويقول: بما أنه شخصية ميدانية فقد كان حريصا على تطبيق مقولة: إذا كنت إمامي فكن أمامي.

ويقول أبو زيد بنش: كان يشارك معنا في المعارك ويتقدمنا، ويرفض أن يحمل له أحد سلاحه في الطريق، مع أنه مريض بالسكر والضغط.
وقد شارك الشيخ أبو جميل باقتحام مطار تفتناز.

ويقول الشيخ أبو جابر: كان يطلب العلم في السجن؛ فأخذ بحفظ القرآن، ومشى شوطا جيدا فيه، ووجد مشقة في حفظ سورة يونس، وأغلب الظن أنه لم ينته من حفظ القرآن، كما كان يدرس اللغة العربية عند شيخ تركماني من شمالي حلب، إضافة إلى دراسته الإدارة عند أبي البراء صوفان، وبالجملة فما من علم ديني أو دنيوي أتيح له إلا درس شيئا منه.

ويقول الشيخ أبو محمد: كان يحفظ القرآن تلقيا مشافهة من الشيخ أبي يوسف بدوي، وكان يحرص على حضور حلق العلم.

وفي لقاء مصور مع أبي جميل أخبر أنه حفظ على الشيخ أبي يوسف البدوي أربعة وعشرين جزءا.

وكان يحفظ الود ويحب إخوانه ويكرمهم.

يقول أبو زيد: ذهبت إلى أبي جميل أزوره في مهجعه وعبد الباقي معه، وكنت كثير الحركة وأحب خدمة الشباب في السجن، فوافق قدومي أن كان تنظيف الأواني والصحاف على عبد الباقي، فأخذت في تنظيفها، فلما أوشكت على النهاية شعر عبد الباقي بذلك، فجاء وقال لي: قم لا أوثرك بأجري اليوم دوري، فجاء أبو جميل وقال لعبد الباقي: صحيح أنك أخي وابن أمي وأبي ولكن هذا -وأشار إليّ- أغلى منك وحذار أن تغضبه، فتركت تنظيف الأواني خشية حدوث مشكلة، فقال عبد الباقي: سأتركك تنظف بدلا عني هذه المرة، وعبد الباقي إنسان يؤلف ويدخل القلب مباشرة.

ويقول أبو صالح: عندما علقت علمي قبل استشهاد قادة الحركة بشهر بسبب الركود والترهل في الحركة والاهتمام بالخارج أكثر من الداخل، زارني أبو جميل وكان معه الشيخ أبو عبد الملك وأبو الخير طعوم، وحاولوا إقناعي بالعودة إلى الحركة، فرفضت، وقلت لهم: متى ما اصطلحت الأمور فستروني أمامكم، أما الآن فلا، ودعاني البعض للانضمام إلى جبهة النصرة، وعلم بذلك أبو جميل، فجاءني ثانية ومعه الشيخ أبو جابر، وكرر المحاولة معي لأرجع إلى الحركة، فأعدت الكلام نفسه، واحتد النقاش بيننا، ثم خرجا حزينين، وبعد ثلاثة أيام طرق أبو جميل، ففتحت، فقال لي: سأكون أفضل منك، أنا آتي إليك، فقلت: أهلا وسهلا، ودعوته إلى الدخول فدخل، ولاحظ أني على وشك الخروج، فقال: كأنك مشغول، فقلت: نحن ذاهبون إلى دركوش، فما رأيك أن ترافقنا، فوافق، وفي الطريق أخذنا نتناقش ببعض الأمور، وكان حريصا على عودتي، وكان أبو عبد الله الحموي قد قال لأبي جميل: لا تترك أبا صالح، وقال لي: إذا تركتنا فلن نتركك.

كان أبو جميل رفيقا بإخوانه شديدا على أعداء الله يبغضهم وينفر منهم ولا يقبل بمداهنتهم.

يقول الشيخ أبو جابر: كان لا يقبل أن يتبسم في وجه السجانين، ولا يرضى أن يتعامل معهم، ويبتعد عن ذلك قدر استطاعته.

كان أبو جميل كثير المزاح مع إخوانه خفيف الظل يحب الدعابة.

يقول الشيخ أبو جابر: كان صاحب نكتة ودعابة مع لسان حاد، وكنت أضحك ملء شدقي عندما أجلس معه، لما تسلمت قيادة الحركة عينته نائبا لي للشؤون العسكرية، فكان يطالب بأشياء وقد لا تلبى مطالبه، فقال لي: أنت تريد قطا من خشب يصطاد ولا يأكل، ودعابته محببة غير مؤذية ومن يجلس معه يسر، صاحبته في السجن وخارجه فلم أر منه إساءة.

ويقول أبو جابر صفر: كان إذا اعترضته مشكلة سعى جاهدا لإيجاد حل لها، وكان يمزح أحيانا ويستعمل المزاح في حل بعض المشكلات.

ضاقت بنا الأمور المادية ذات مرة، فأرسل إلى بعض أقربائه الأغنياء: ماذا ستعمل بكل هذه الأموال؟ غدا ستموت وتنتن جثتك وتصدر رائحة كريهة، فاشتر الجنة من الآن بالإنفاق في سبيل الله وإكرام المجاهدين، أنا أعلمك من الآن حتى لا تقول غدا: أبو جميل لم يقل لي ذلك.

وذهب مرة إلى قريب له تاجر، وقال له: أحتاج مائة ألف ليرة سورية بشدة، فهل تقدر أن تقرضني؟ أجبني بسرعة نعم أم لا، فقال الرجل: تريث قليلا علي، يوجد، فقال: أحضرهم بسرعة، فأحضرهم، فلما صاروا في يد أبي جميل، قال له: معنا مائة ألف ليرة ونريد أن نشغلهم عندك، وللعلم فنحن شحذناهم شحذا [قال الزبيدي في تاج العروس: الشَّحْذ (الإِلْحَاحُ فِي السُّؤال، و) يُقَال: (هُوَ شَحَّاذُ) أَي (مُلِحُّ) عَلَيْهِم فِي سُؤَالِه] فإياك أن تقول لي غدا: الباخرة غرقت والبضاعة خسرت، نحن لا نخسر، والآن خذهم وأعطنا ربح أول شهر بسرعة.

ويقول أبو زيد: قدم أبو جميل إلى مهجعنا في صيدنايا، وكان معه حسن صوفان وبهاء الجغل وأبو يوسف بدوي وعبد الباقي قطب، وكان من نظام مهجعنا أنه يتعين على كل واحد منا أن يلقي كلمة بعد الفجر، وقدر الله أن يكون دوري، فعلاني حياء شديد كون هؤلاء الضيوف مشايخ وطلبة العلم، فتكلمت عن الصدق، وكانت بيدي ورقة أقرأ منها وأنا مضطرب جدا، وبعد الانتهاء أثنى عليّ الشيخ أبو يوسف ومن معه، غير أبي جميل، فإنه قال لي: يكفي، غدا تظن نفسك شيخا ثم تعتلي المنبر لتخطب.

ويقول: كنت ربما مازحت بعض الإخوة فينزعج مني الأخ فأعتذر منه وأقبل رأسه ورأس جميع السجناء في المهجع، هكذا كان دأبي كلما انزعج مني أحد، فكنت إذا وصلت إلى أبي جميل لأقبل رأسه يقول لي: دون تقبيل، وصلت، ولما نقل أبو جميل إلى سجن حلب المركزي -وكان قد أطلق سراحي- اتصلت به وسلمت عليه، فقال لي: والدي متعبة نفسه فاذهب إليه وواسه، فذهبت إليه فسر بي جدا، ثم أطلق سراح أبي جميل، فذهبت لأسلم عليه فأصر والده أن أتغدى عنده، فمازحني

أبو جميل كعادته، وقال لي: قم يا رجل هل أتيت إلينا لنطعمك؟ فغضب أبوه وعنفه بالكلام، فقال لي: هل سررت الآن وُبّخت لأجلك.

وفي بداية الثورة ذهبت إلى أطمة لأزور بعض إخواني، فقال لي هذا الأخ: عندي لك مفاجأة، فإذا بأبي جميل نائم عنده واضع يده خلف رأسه، فركلته برجله، فنهض فزعا، فقلت له: اقتص، فقال لي: أنت جرار لا يقص منك، أنا أقتص؟ (أبو زيد كان بدينا جدا وقتها).

ويقول ابن أخته: كان أبو جميل يمازحنا ويلاعبنا ونحن صغار، غير أنه في الوقت الجد لا يجرؤ أحد منا على الدخول إلى الغرفة التي فيها.

وكان صاحب صدر واسع يرفق بإخوانه من الفصائل الأخرى ويتناقش معهم ولا يتشنج في حواره وإن أخطؤوا.

يقول الشيخ أبو جابر: أخبرني أبو جميل أنه بعد أن تم توقيع ميثاق الشرف الثوري -ولم يكن على علم بالميثاق ولا بمحتواه- جاءه شابان من جبهة النصرة، فطرقا بابه في السابعة صباحا، فأذن لهما بالدخول، وما إن جلسا حتى بادراه القول: ألا تعلم ماذا فعلت جماعتك؟ يريدون دولة مدنية ديمقراطية، فقال: متى كان هذا؟ فقالا: البارحة أصدرا بيانا بذلك، فقال: أطلعاني على البيان، فأخرجا ميثاق الشرف الثوري، وقرآه، فإذا المادة السابعة: يهدف الشعب السوري إلى إقامة دولة العدل والقانون والحريات بمعزل عن الضغوط والإملاءات، وليس فيه ذكر للدولة المدنية أو الديمقراطية، فقال لهم: هذه المادة متشابهة والمادة الأولى محكمة، ونصها: ضوابط ومحددات العمل الثوري مستمدة من أحكام ديننا الحنيف بعيدا عن التنطع والغلو، فافهما المادة السابعة من خلال الأولى وعندها يزول الإشكال، فسكتا وخرجا.

والتواضع وترك الفخر والتكبر والمظاهر من سمات أبي جميل التي لا تخطئها العين.

يقول ابن أخته: كان لا يهتم بالمظاهر، فمع أن لديه سيارة ومرافقة إلا أنه كان لا يستدعيهم، ويقضي حاجياته وهو يركب دراجته النارية (بارت)، حتى أنه جاء إلينا يوما في الساعة الحادية عشرة ليلا ماشيا، وكان الخوارج قد وضعوا له قبل ذلك عبوة في سيارته فلم تنفجر، وكان والدي يلومه على قلة تحفظه واحتياطه، فيقول: لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.

عبادته:

كان أبو جميل كريما جدا، لا يخيب أحدا قصده ولو كان في إعسار.

تقول زوجته: كان كريما جدا، وهذه خصلة ورثها عن أبيه، عندما خرج من السجن كنا نسكن في غرفة في بيت أهله، وبسبب كثرة الضيوف انتقلنا إلى بيت آخر، وتحول بيتنا إلى شبه مقر، وشغل أبو جميل باستقبال الناس، وكان صبورا جدا عليهم، يجيد التعامل معهم، مضيافا، فلا بد أن يطعم الضيف ويسقيه ويمكنه من مرافق البيت خاصة المهاجرين، كانت بنش قوة للأحرار، فكان من يريد الانضمام إلى الحركة يأتي إليها، فيكون أبو جميل هو من يستقبله فيأكل ويشرب ويغتسل كل ذلك في بيتنا، وكان بعضهم ينام عندنا، وقد يمكثوا يومين أو ثلاثة، وخلال ذلك لا ينقطع إكرام أبي جميل لهم.

وتقول: كنت أمضي ساعات طوال في المطبخ، فربما يأتي إلينا إلى البيت في منتصف الليل كتيبة كاملة عشرون أو ثلاثون رجلا، ويطلب أبو جميل مني أن أعد لهم عشاء، فأقدم ما عندي من الزيتون والجبنة والبيض، وكانت البركة في بيتنا بحمد الله لا توصف.

وكانت لابنتي صفية من العمر تسعة أعوام، فكانت تقدم الضيافة للمجاهدين الذين نزلوا علينا، فكان بعضهم يهديها مبلغا من المال، وقد حصل ذلك كثيرا، فكان أبو جميل يذكر لها حديث: «فَهَلَّا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ، حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا» وينبهها أننا لو لم نقم بهذا العمل لما قدم لها أحد شيئا، ونحن لا نريد أجرا من البشر على هذا العمل، ويقول لها: إذا أردت كمال الأجر

فضعي هذا المال في الجهاد أو للمجاهدين، فرباها على التصدق بكل مبلغ يقدمه لها المجاهدون، فاستمرت على ذلك حتى بعد استشهاد أبيها، فقد ختمت القرآن حفظا بعد استشهاده فكرموها وأعطوها خمسين دولارا، فقالت لي: سأعمل كما كان أبي يعلمني، ثم تصدقت بها ليكمل لها أجرها في الآخرة.

يقول أخوه: كنا جالسين عند أبي جميل مرة، فاشتكى شاب من قلة الرزق، فقال أبو جميل: كلما قلت الأموال لديكم تصدقوا ولو بشيء يسير وستجدون الله يعوضكم، وأحدثكم بقصة جرت معي، وذلك أنه في إحدى المرات لم يكن معي سوى ألفي ليرة سورية، وكنت مهموما أفكر كيف سأنفق على أهلي، فطرق الباب، وإذا بصديق لي متغير الوجه باديا عليه الحاجة، فلما دخل واستقر به المجلس، سألته: ما بك؟ فقال: لا شيء، فقلت: أشعر أنك بحاجة إلى مال، فقال: ليس معي ثمن عشاء، فقلت: معي ألفا ليرة ليس معي غيرها، فهاك نصفها وسأترك معي نصفها، فأخذها وانصرف، وبعد الفجر طرق بابي، ففتحته، فإذا بشخص لا أعرفه ولم أره من قبل، فقال لي: أنت أبو جميل؟ فقلت: نعم، فدفع إلي مائتي دولار، وقال: هذه من فاعل خير نصفها لك وتصرف بالنصف الثاني كما ترى، ثم انصرف، فذهبت إلى صديقي الذي جاءني بالأمس ودفعت إليه مائة دولار، فقال: أنت تسخر مني، كان معك مال، أليس كذلك؟ فقلت له: التجارة مع الله لا تبور، ثم قصصت عليه ما جرى معي البارحة.

يقول أبو جميل: وهذا ما تعلمته في السجن، فقد كان أخي عبد الباقي إذا قلّ لدينا الطعام يتصدق ببعضه مع شدة حاجتنا إليه، ويقول: هذه تجارة مع الله، فلا يلبث إلا ويأتينا طعام من خارج السجن عبر الواسطات.

ويقول ابن أخته: طلب منه أبي مرة ألفي ليرة سورية، فقال له: معي ألف ومائة، فخذ الألف ودع لي المائة.

ويقول الشيخ أبو جابر: في الاستعصاء اشتد بنا الجوع حتى غدت التمرة كنزا

عظيما، ولا أنسى لأبي جميل أنه دعي يوما في شدة الحصار إلى كأس شاي، فدعاني لنشترك في شربها، وكان برا بوالديه.

وكان أبو جميل يساعد شباب الكتيبة المقبلين على الزواج في تكاليفه وتأمين بيوت لهم، ويعتبر الشباب أمانة في عنقه فيرعاهم ويهتم بتربيتهم المعنوية والمادية كما يهتم الوالد بأولاده.

يقول أبو زيد بنش: خرجنا إلى مؤازرة إلى إعزاز لقتال الخوارج، وكانت نوبة رباطي في المقر من الثانية عشرة ليلا إلى الثانية، فشعرت بحركة داخل المقر، فأغلقت الأبواب (المقر مستشفى) ونزلت إلى القبو لأرى ما الأمر، فلما نزلت رأيت أبا جميل يتفقد الشباب ويغطي من تكشف منهم أثناء الليل، وكان يقرأ في كتاب المختصر في التفسير ليلقي علينا دروسا منه.

ويقول: رآني مرة وأنا واقف في نوبة الرباط في الضوء لا أتحرك، فقال لي في اليوم التالي: يجب أن تقف في الظلام ولا تكون ثابتا، فقلت: لماذا؟ فقال: لما كنا في العراق كان يأتي أشخاص يريدون إيقاع الفتنة بين المجاهدين وقد وضعوا راية فصيل لا ينتمون له، ثم يطلقون النار على مرابط أمام مقره، وتنسحب السيارة رويدا رويدا حتى يرى الناس راية الفصيل الموضوعة عليها، فيظنون أن الفصيل الفلاني هو الفاعل وتقع الفتنة.

ويقول: قال لي مرة: سامحني، فقلت: لماذا؟ فقال: لأني سمعت أناسا يتكلمون فيك فتأثرت بكلامهم، ثم تبين لي أن ذلك باطل، وكان الواجب أن آتي إليك وأستوضح منك .

يقول أبو زيد: فتأثرت بذلك جدا وأنا أرى أميري وهو أكبر مني سنا وقدرا وعلما يعتذر ويطلب السماح.

وكان يهتم بكون الجهاد خاليا من مال الحرام أو الشبهة أو المضر بصالح الجهاد، فقد التقى مرة بشخص من سراقب، فقال له أبو جميل: أنت سرقت سيارة الزبالة، فقال الرجل: لأنفق على كتيبتي، فقال له: ليس بالإضرار بالناس.

كما كان حريصا على أن يقطع طريق الشيطان في قذفه الظنون السيئة في قلوب الناس، ومن ذلك: أن الشيخ أبا يوسف البدوي كسرت يد باب سيارته من الدخل، فكان إذا أراد النزول من السيارة يحتاج إلى من يفتح له الباب من الخارج، وكان الإخوة الذين يرافقونه يفعلون ذلك، فرأى أبو جميل ذلك، فدعا بعض الشباب الذين يرافقونه ثم عنفهم ووبخهم وقرعهم، وقال: أصلحوا يد الباب مباشرة، فالناس عندما يرونكم وأنتم تفتحون الباب للشيخ لا يعلمون أن يد الباب الداخلية مكسورة، وإنما يظنون أن هذا من باب الكبر والتعالي.

ويقول ابن أخته: كان حريصا على القيام بالحقوق مهما كان منشغلا، فكان لا يفرط في زيارة أرحامه ولو لوقت يسير مع كثرة أشغاله.

يقول الشيخ أبو جابر: كان أبو جميل في السجن مثابرا على صيام يومي الاثنين والخميس وقيام الليل، وكذلك كان أخوه عبد الباقي -(درس الطب البيطري)- بل يزيد عليه في التعبد وهو صموت على عكس أبي جميل، ومع أن عبد الباقي أصغر من يوسف إلا أنه كان يقول: عبد الباقي شيخي.

ورعه وشدته في دينه ورفضه المساومات:

في بداية الثورة، قال أبو جميل لأخيه أبي شكيب: اذهب إلى لبنان لتعمل وترسل لي مالا أنفقه على أسرتي حتى لا أحتاج أحدا وأتفرغ للجهاد فتكون مجاهدا بمالك وأكون مجاهدا بنفسي ولا نأخذ حقا ليس لنا، وظل أبو شكيب يرسل إلى أبي جميل مالا من لبنان مدة سنتين.

ومع أن أبا جميل كان ميسور الحال قبل الثورة إلا أن الدين ركبه في الثورة حتى

اضطر إلى بيع جرات الغاز التي يملكها، فقبل مقتله قال لأخيه أبي شكيب: كم جرة فارغة لي عندك؟ فقال: ثلاثة، فقال: خذهم وادفع الدين الذي عليّ لصاحب الغاز.

ولما عاد أخوه من لبنان هنأه أبو جميل بعودته سالما، وقال: عمرت لك هذا البيت -وكان النظام قد قصف بيوت آل قطب مرارا-، وعليّ دين، فقال أبو شكيب: كم دينك؟ فقال: خمسمائة دولار، فوفاهم عنه، فضحك أبو جميل وقال ممازحا لأخيه: الناس تجمع الأموال، ثم دفع أبو شكيب لأخيه خمسمائة دولار أخرى لينفق منها على نفسه وأهل بيته.

تقول زوجته: قام شباب من الجبهة بالاستيلاء على مستودع في حلب يحتوي أدوات كهربائية منزلية -غالبا- ظنا منهم أنه للشبيحة، ولم يكن كذلك، فجاء أصحابه إلى أبي جميل طالبين منه أن يكلم شباب الجبهة ليعيدوا المستودع، فتكلم أبو جميل في ذلك فأعيد المستودع إلى أصحابه، فجاؤوا إلى أبي جميل شاكرين له، وأحضروا معهم بعض أدوات المطبخ (عدد من القدور وقدر ضغط ومجموعة من كاسات الشراب ومجموعة من فناجين القهوة وصحون) ومعهم كيلو شاي وكيلو بُن هدية لأبي جميل، ففرحت بذلك جدا، ولكن أبا جميل رفض قبول ذلك، وقال لي: أنا أشتري لك ما ينقصك، حاول الشباب كثيرا ليقبل أبو جميل الهدية فأصر على الرفض، وقال: أنا تكلمت ليرجع الحق لأصحابه ولا أقبل هذه الهدية، فاشتد إصرار الشباب، فقبل أن يأخذ كيلو الشاي والبن فقط، ورفض أدوات المطبخ بشكل قاطع.
وتقول: بعد مقتل القادة خرجنا إلى تركيا لترميم الخلل الذي خلفه مقتل القادة، وكان أبو جميل يكره ترك البلد إلا أنه اضطر إلى ذلك بسبب المنصب الذي أسند إليه ويتطلب مقابلات في تركيا، وفي أثناء ذلك كان الشباب يتصلون به ويرسلون له بعض الأناشيد التي يصوغونها ليرجع إليهم، وكان خلال وجودنا في تركيا منشغلا إما باستقبال الضيوف أو خارج البيت، وقل ما نراه، فكان إذا جلس معنا قليلا شعر بتأنيب الضمير، كيف يكون هنا في أمان وطعام وشراب ودفء والمسلمون في المناطق المحررة تحت القصف والبرد وشظف العيش، كان يقول لي: كيف أكون هنا

بأمن وأمان وأهلنا تحت الطيران والقذائف وفي البرد الشديد، وكان حريصا على ألا يستخدم مال الأحرار أو مال المسلمين أبدا، فمثلا كان يأتينا ضيوف كثر وإكرامهم شيء مكلف، وأبو جميل بلا عمل سوى عمله مع الحركة، فكان أخو أبي جميل قد خصص له مرتبا شهريا، فكان ينفق منه على إكرام الضيوف وإطعامهم، فلا ينتهي الشهر إلا وقد نفد المرتب واحتجنا إلى الاستدانة، فقلت له: خذ قسطا من مال الحركة لإطعام الضيوف، فرفض ذلك، ولم يكن يمد يده إلى مال الحركة أبدا، حتى اللقمة التي كان يتناولها كان يحاسب نفسه أعليها أهو محتاج إليها أم لا، كان وقافا عند حدود الله.

وتقول: كان كثير الانشغال عنا، فقلت له مرة لما فرغ: لو تأخذنا في السيارة نتفسح قليلا، فقال لي: إذا لم يكن الأمر ضروريا فلا يجوز ذلك لي، ليست السيارة سيارة أبي ولا البنزين بنزين أبي كي آخذكم بالسيارة، فقلت له: اعتبرني شخصا من الحركة، أنا دائما منشغلة بخدمة الشباب وإطعامهم وغسل ملابسهم، فقال: أذهبت أجرك، لماذا تفكرين بهذه الطريقة، احتسبي أجرك وعملك عند الله.

ويقول الشيخ أبو جابر: أردت إخراج أهلي وإسكانهم في تركيا، فقال لي: استأجرت بيتا في تركيا ولم أعد بحاجة إليه؛ لأني سأعيد أهلي إلى الداخل، فخذه، ثم أخرج خمسة آلاف ليرة تركية، وقال: هذه دفعها لي شخص لأنفقها على أهلي في تركيا، وسأنزلهم فخذها فاستنفقها على أهلك، فقلت: هذه لك، فقال: لا، هذه أعطيتها لأنفقها على أهلي في تركيا، وهم الآن سيعودون، وأنت ستسكن أهلك تركيا فأنت أولى بها، قال الشيخ أبو جابر: فتركت أهلي في تركيا حتى نفد المال ثم أعدتهم إلى سوريا لأني لم أكن قادرا على القيام بنفقاتهم هناك، خاصة أني لم أكن آخذ من الحركة مالا أبدا.

ويقول أخوه: بعد استشهاد قادة الأحرار ذهب أبو جميل وحضر اجتماعا مع بعض الداعمين، فقالوا له: سنزودكم بالسيارات والسلاح، فقال: والمقابل؟ فقالوا: هناك صواريخ استولت عليها جبهة النصرة من جمال معروف ونحن نريدها ونريد أن تقاتلوا

الجبهة، فقال: لا أقاتل المسلمين من أجل دعمكم، إنما نعمل معا إذا تطابقت مصالحنا في قتال النظام، وأنا مستعد لذلك، أما قتال المسلمين فلا ولا حاجة لي بدعمكم.

كما طلب من أبي جميل أن يذهب ليحج ويلتقي ببعض الأشخاص هناك، فكان فيمن التقاهم شيخ له قدر كبير أخذ يسأل أبا جميل عما يلزم الأحرار، فأخبره أبو جميل أنهم بحاجة إلى سلاح نوعي وخاصة مضاد للطيران، فقال الشيخ: هذا ممنوع لا نقدر أن نقدمه لكم، فقال أبو جميل: إذن يلزمنا مال ونحن نشتري به السلاح، فلما انقضى المجلس جاء مرافق الشيخ بحقيبة كبيرة مليئة بالمال، وقال الشيخ لأبي جميل: هذه لك لتقضي بها حوائجك، فقال أبو جميل: أنا لست بحاجة إلى المال، كما أني لم آت لأشحذ منك، أنا ابن نعمة والله قد أغناني وأنا جندي كأي جندي في الأحرار، فقال الشيخ: أنا أعرفك وقد سألت عنك، وغيرك يطلب لنفسه طلبا، فخذ هذا ووزعه كيف شئت.

ويقول أبو جابر صفر: كان لأبي جميل تواصل مع الداعمين، وكانت أمور الطليعة جيدة، كان لدينا أربعة عشر قاذفا ومثلهم رشاشات بكس وثمانية قناصات بنواظيرها، فلما اندمج في الحركة صار يقدم كل دعم يأتيه للحركة، بل دفع بمال صندوق الطليعة إلى الحركة حتى أثر ذلك علينا، فكان يقول: بيننا عهد لا أخيس به، فلم يكن يعطينا من الدعم شيئا إلا إذا كان مخصصا لأمر معين، فقد كان يلتزم بذلك.

وكان لورعه إذا أخذ من التسليح ذخائر لمعركة ثم ألغيت يعيدها ثانية، وإذا تمت المعركة وفاض من الذخيرة شيء أعاده، وكان أبو طلحة العسكري يعجب من ذلك. كان أبو جميل وقافا عند حدود الله، مثالا للقائد الميداني على الأرض، زرع الله محبته في قلوب الشباب، حتى صارت طاعته لمحبته، وكان إذا أراد أن يعطي درسا امتلأ المقر بالشباب حتى يجلسوا على الدرج، كان محبوبا حتى في قسوته وتعنيفه وتوبيخه.

كان مخلصا لا يريد الدنيا، لم يكن صاحب مكر وخداع، ولم يكن ينقل لنا شيئا من المشاكل التي تجري في مجلس الشورى، مع أن أعضاء الشورى كانت تختلف آراؤهم ويحتد النقاش بينهم ولكن لا يخرج شيء من ذلك خارج مجلس الشورى ولا يعلم العناصر به.

ومع أنه كان على خلاف مع أحد أعضاء مجلس الشورى، إلا أنه كان لا يسمح أن يؤدي ذلك إلى التقاعس عن الجهاد إذا داهم الخطر وتقدم الجيش باتجاه مدينة ذاك الشخص، فمرفوض عنده تماما ربط الجهاد بالأشخاص.

كان يختلف مع سياسة جبهة النصرة، ويقول: هدفنا وهدفهم واحد ولكن لكل منا طريق يتبعه.

وكان أبو جميل زاهدا يكره التميز عن الجنود بشيء، فقد رافقته للمشاركة في معركة السجن المركزي في حلب، فوصلنا عند المغرب، ونزلنا في أحد المقرات في الحيدرية، فوجد الشباب يأكلون دجاجا مشويا، فقال: هل أكل المرابطون اليوم دجاجا مشويا؟ فقالوا: هذا فضل من البارحة، وأما طعام اليوم فهو بطاطا، فقال: لا بارك الله فينا إن لم يكن طعامنا كطعام الجنود.

وكان يهتم بالجنود ويسمع شكواهم ويسعى في حلها مباشرة، وجد مرة نقصا في طعامهم فأعطاهم مبلغا من المال مباشرة لتدارك الأمر.

شارك أبو جميل في معركة زئير الأحرار الأولى والثانية، وأرسل إليها قرابة مائة شاب.

يقول أبو زيد بنش: حضر مرة داعم فعرض على العناصر مالا فرفضنا، فقال لنا أبو جميل بعدها: لو أخذتم لعاقبتكم، فهؤلاء يستجرّون العناصر من هذا الباب ويحاولون الدخول من هذه الثغرة.

ويقول: كان الشيخ يدعم الجبهة أحيانا بما يسر الله له، فأُحضِرت له حقائب من الأموال واشتُرط عليه ألا يعطي الجبهة منها شيئا، فقال للذي أحضر الحقائب: أعدها فلا حاجة لي فيها.

ويقول: كان لا يجامل في الحق أحدا، (ليس عنده ذقن ممشطة) يحاسب المخطئ ولو كان من أقاربه، ويولي المسؤولية الأكفأ فالأكفأ، وكان دائما يطلب من الشباب الأفضل، ويشعرهم أنه مهما فعلنا فنحن مقصرون.

ويقول: كان شديدا في الحق يطالب به ولا يتهاون في ذلك أيا كان من عليه الحق، حتى إنه حدث خلاف مع فصيل كبير لقيامه بقتل أبي أسيد الجزراوي خطأ، فذهب إلى أمير المنطقة واشتد عليه في الكلام، وقال: ستنزلون تحت الشرع وتؤدون الحق ولو جبرا.

وذات مرة تلفظ شخص بالكفر قبيل المغرب بعشر دقائق، فتكلم عبر القبضة، وقال: سيحضر إلي قبل الإفطار، فأحضر إليه صاغرا.

وكان أبو جميل يمنع من معه من المرافقين من أخذ أي شيء من الداعمين، وفي الوقت ذاته كان لا يقصر معهم بشيء.

عين أبو جميل مسؤولا للمكتب الخارجي في تركيا، فلما ذهب هاله ما وجد هناك من الفساد ومن العبث بأموال الحركة باسم حركة أحرار الشام، فاسترجع أموالا كثيرة في تركيا، وعاد إلى سوريا وقد كره الدنيا وأبغضها أشد البغض لما رأى في تركيا من الفساد وأكل الحرام باسم الجهاد والمجاهدين، وقد ضبط المكتب الخارجي أثناء وجوده بشكل كبير، وكان يرفض أن يتصرف أحد هناك دون الرجوع له، خاصة أن البعض كان يريد أن يبني علاقات مع بعض الجهات.

يقول الشيخ أبو جابر: وقد استأذنني بالعودة إلى الداخل وطلب مني إعفاءه من هذا المنصب وتعيين شخص آخر بدلا عنه، فقد كان من الصعب عليه أن يبتعد عن أرض الجهاد وأن يتعامل مع المخابرات، وحتى مع من هم محسوبون على الجهاد.
ويقول الشيخ أبو جابر: أثناء قيادتي للحركة أصدرت الحركة بيانا أثار جدلا ولغطا -ربما كان بيان تعزية لم أعد أذكر-، فجاء إلي أبو جميل وسألني عن ذلك، فبينت له رأيي، فبكى وقال لي: يا شيخ هذا الدين أمانة في أعناقنا ولن نضيع دماء الشهداء، ونحن خرجنا ونعمل من أجل هذا الدين، ولا نريد أن نضيع ديننا من أجل دنيانا، وكان خائفا جدا من انحراف الحركة.

قلت: فهؤلاء هم القادة الصدق، الذين طابقت أفعالهم أقوالهم، فلم يبدلوا ولم يغيروا ولم يبيعوا ولم يشتروا الضلالة بالهدى ولا الدنيا بالدين، وثبتوا على مبادئهم حتى اصطفاهم الله شهداء فأعلى ذكرهم وقدرهم، أما من جعل دينه شبكة يصطاد بها حطام الدنيا وجعل مبادئه كجلد الحرباء تتغير مع المتغيرات وتتبدل من حين لآخر فيأتي بالشيء وضده وبالشيء ونقيضه ثم يزعم الثبات والتمسك بالمبادئ فإنما يكذب على نفسه، وحاله لا يخفى على أحد، فليس الثبات بالزعم والكلام الأجوف، إنما هو بالفعال.

وفي بداية تشكيل الكتائب حصلت أزمة في الحصول على جرر الغاز، وصار أصحاب المصالح يوزعونه عند توفره بحسب أهوائهم، فجمع أبو جميل دفاتر العائلة في بنش، وقال: الغاز يأتي إلينا ونحن نوزعه على الدور، فجاءه أبوه، وقال له: أريد جرة غاز، فقال: ليس لك دور الآن، فقال: أنا بحاجة وليس لدي غاز، فقال: اذهب وخذ جرتي من البيت حتى يأتي دورك.

يقول أبو جابر صفر: كان أبو جميل يبتعد عن الأمور المدنية ويركز العمل كله في العسكرة، ولا يضم إليه إلا الشباب الجيدين الذين يشار إليهم بالبنان، حتى إن الرجل كان يجيء بابنه ليضمه إلينا ولا يعرف عنا سوى أن هذه المجموعة أصحاب دين وتقوى، وكان يسيطر على توزيع الغاز والخبز بعضهم، فلما ضاق الأمر وازداد الفساد،

طلب الأهالي التدخل لوضع حد للسوء المتزايد، فتدخلنا في الغاز والمازوت والخبز، وكانت بنش آمنة نوعا ما، فنحن كنا حافظ على سرية العمل، والشباب يخرجون إلى الأعمال العسكرية ليلا، فكثر النزوح إليها، ويسر الله لنا رجلا فقدم لنا مبلغا للخبز، فكنا نشتري يوميا أربعمائة أو خمسمائة ربطة ونوزعها على المحتاجين مجانا، وندفع منا ثمن المازوت الذي تستهلكه السيارة، ونكلف شابين بتوزيع الخبز، ثم اشترى لنا الرجل الذي قدم ثمن الخبز فرنا، فصرنا نخبز ونوزع للناس بأقل من ثمن التكلفة، كانت الربطة تكلفنا خمسة وستين ليرة فنبيعها بخمسة وثلاثين ليرة، وكان أفضل وأرخص خبز في المنطقة، غير أن مدته لم تطل لنفاد المال.

وبدا واضحا للناس أن هذه الجماعة لا تريد الانتفاع بالجهاد ولا المتاجرة به ولا تركض خلف الدنيا، إنما يريدون نفع الناس وخدمتهم إرضاء لله تعالى.

وأما الغاز فكان يوزع حسب أهواء القائمين عليه، وقد يأخذ الشخص الواحد عشرين جرة غاز، وينتظر آخرون شهورا طويلة دون أن يحصلوا على شيء، فلما تولت الكتيبة الإشراف على توزيعه دار الدور في سنة واحدة ست مرات، حتى إنه قد يأتي دور شخص ولا يوجد عنده جرة فارغة ليبدلها، ولما حاول بعض أصحاب النفوذ أو الأسر الكبيرة التمرد وأخذ ما ليس من حقهم كان التعامل معهم بحزم، وساعد على ذلك القيام بالحق والعدل.

كما تدخلنا في الإصلاح بين الناس عند حدوث اقتتال بين الأسر، وكانت كلمتنا مسموعة في الناس.

يقول أبو صالح: ولاشتهاره بالحق وعدم المحاباة نال احترام الناس وتقديرهم.
حاول بعض الأشخاص الذين لهم أسرة كبيرة في بنش أخذ دور غيرهم أثناء توزيع الغاز، فتصدى لهم أبو جميل فلبس جعبته وحمل سلاحه ونزل يتوعد ويتهدد، فلم يعترضه أحد، مع أن أسرته قليلة العدد، ثم جاؤوا إليه واعتذروا.

يقول ابن أخته: سلّم أبو جميل أخي بندقية تبوكية صدئة، وقال له: حتى لا يقال يحابي ابن أخته، وكان يرسله في كل مؤازرة، حتى إنه همّ بترك الأحرار والانتقال إلى النصرة.

ويقول: عندما ذهب إلى المعسكر، قال: أنا ابن أخت الشيخ، فلما زار الشيخ المعسكر أخبروه بذلك، فعاقبه بين المزح والجد، وقال لهم: أخرجوه في الحرس دائما لأنه ابن أخت الشيخ.

وقد استشهد ابن أخته هذا بعده بقرابة خمسة أشهر، وكان يكنى بأبي عبد الرحمن صيدنايا، وهي كنية خاله عبد الباقي رحمهم الله جميعا.

فلم يكن أبو جميل يحابي في الحق أحدا، ولذلك كان الناس يخضعون لقوله ويهابونه.

أثناء أزمة الغاز جاء شخص من أسرة السيد -ومع أبي جميل أحد عشر شخصا من تلك الأسرة- يريد أخذ جرة، ولم يكن دوره قد حان، فقال هذا الشخص: سآخذ جرة غصبا عنكم، فاتصل الشباب بأبي جميل عبر القبضة وأخبروه، فقال: لا تعطوا أحدا لم يأت دوره، فتلفظ الشخص بالكفر وسمعه أبو جميل عبر القبضة، فحمل سلاحه وخرج حافيا ليقبض عليه ويعاقبه، فهرب الشخص ودخل بيته، فقام أبو جميل بتطويق الحارة وهدد من يحمي هذا الشخص، فجاء كبير الأسرة، وقال له: امض الآن وأنا آتيك به لتفعل به ما تشاء، فمضى أبو جميل وصدق الرجل في وعده، فأحضر له ذاك الشخص، فجلده أبو جميل في الساحة العامة على مرأى ومسمع من أهل القرية، فصار الناس يخافونه ويحسبون للغلط حسابا.

استشهاده:

كان أبو جميل شديد الحب للشيخ أبي يوسف البدوي، وقبيل مقتله كان يقول: حيثما التفت تراءى لي وجه الشيخ أبي يوسف البدوي، إني أراه في كل مكان.

يقول ابن أخته: قبل استشهاده بمدة وجيزة قال لوالدتي: أبشرك رأيت البارحة أحد أصحابي القدامى فذكر لي أنه رآني في المنام وقد حلقت لحيتي -وذكر رؤيا نسيتها-، وأولها أبو جميل بالشهادة، فقال والدي: وأنا رأيتك قد حلقت لحيتك ونحن في الأمن، فقلت لك: ما هذا؟ فأشرت إلي: أن اسكت، وكذلك أولها أبو جميل بالشهادة.

ويقول: كان أبو جميل أرسل أخي ليدرس في تركيا، وكان متكفلا بنفقاته، وقد عهد إلى شخص بالإشراف على شؤونه، فلما كان قبل استشهاده اتصل بذلك الشخص، وقال له: أشعر أني سأستشهد وهذا الولد أمانة برقبتك، وأخبره بدين عليه ليوفيه. وتقول زوجته: لما حملت بيوسف كنت بتركيا، وكنت أخشى أن يكون الحمل أنثى، وقبل الحمل قالت لي الطبيبة: إن شئت عملت لك علاجا أو برنامجا، فقال أبو جميل: اختيار رب العالمين خير من اختيارنا، وإذا رزقت بعشر بنات فلا مشكلة عندي، هذا رزق من الله ولا فرق عندي بين صبي وبنت، كل بنت عندي تساوي الدنيا وما فيها، واختيار الله هو الأفضل، وقبل استشهاده بعشرة أيام ذهبت إلى الطبيبة فصورت الحمل فتبين أنه ذكر، فلما خرجت من عندها قال لي أبو جميل: كيف حال الرابعة، فقلت له: الحمد لله التصوير أظهر أنه ذكر، فقال: عندي إحساس أني لن أراه، فقلت له: لا تقل هكذا، لا تنغص علي فرحي، فقال: إن شاء الله ولكني أشعر أني لن أراه، ثم أخبرني أنه سيسميه جميل على اسم جده إن ولد وأبو جميل حي، وأوصاني إن سبقته الشهادة أني أسميه يوسف على اسمه، فقلت له: لا تقل هكذا، ولم تمض عشرة أيام حتى استشهد أبو جميل، فلما وضعت الحمل سميت الصبي يوسف كما أوصى أبوه قبل استشهاده، فأسأل الله أن يتقبله، كان قدوة لي وكان عزيزا عليّ، أسأل الله أن يجمعني به في الفردوس.

يقول أبو صالح: بعد بضعة أشهر من مقتل القادة وأثناء التحضير لمعركة إدلب جاءني أبو جميل، وقال: أنا ذاهب، فقلت: إلى أين؟ فقال: إلى الشباب، يقصد الشهداء، فقلت: ماذا؟ فقلت: أتكلم جادا رأيت رؤيا وتأويلها الشهادة، فلم أهتم لذلك كثيرا، وكنت منشغلا بالتجهز لمعركة إدلب، وقبل المغرب اتصل بي وطلب مني مرافقته لزيارة أبي حمزة قائد لواء الإيمان، فاستغربت من زيارته في ذلك الوقت -وكانت نظرتهم إلى أبي جميل فيها خلل وقد أخذوا عنه صورة مغلوطة-، فذهبنا سوية، فاستقبلنا أبو حمزة وأبو المنذر وأبو حيان، وبدأت الجلسة بكلام عادي، ثم تطرق أبو جميل في حديثه إلى الإشكالات، وقال: أنا إنسان عملي وليس لي مشكلة مع أحد، ولكن توجد أخطاء وأنا أبغض الاستمرار فيها.

ولم تنفض الجلسة حتى كانت نظرتهم إلى أبي جميل قد تغيرت وصرحوا بذلك، وصلينا العشاء وانصرفنا.

اكتمل الاستعداد لمعركة إدلب، وكان محور الحركة من دير الزغب من طرف الفوعة، ومن المحور الشرقي في مدينة إدلب، وعلمت أن أبا جميل مصر على الدخول مع المقتحمين، وطلب مني بعض الإخوة منعه، فاتصل بي أبو جميل، وقال: أين أنت؟ أريد رؤيتك، فقلت: قادم، وأخذت أتأخر عن لقائه لينتظرني ولا يدخل إلى المعركة، وكان يتصل بي بين الفينة والأخرى فأرجئه قليلا، ثم اتصل بي أخيرا، وقال: لقد ذهبت، فقلت له: لقد وصلت، فقال: لقد غادرت، فتبعته إلى بنش، فقال لي: سأدخل المعركة، فقلت: لم يبق غيرك؟ فأصر على الدخول، فقلت: انطلق إلى غرفة العمليات، وكانت قرب سرمين، فاعتلينا سطحا وقد بدأت المعركة ودخل الشباب من محور معمل الغاز يقتحمون بالدبابات، ولما يدخل محور دير الزغب، وأخذنا نراقب الشباب وهم يتقدمون باتجاه دوار المحراب، ولاحت بشائر النصر فتوتر أبو جميل، وقال لي: أرسل سعدا ليوصلني إلى المحور الآخر، فقلت: ابق هنا، عملك في العمليات، فرفض وعزم على الذهاب مشيا إن لم آمر بتوصليه إلى بنش، فطلبت توصيله، وتأجل عمل محور دير الزغب إلى اليوم التالي، فاتصل بي ليلا، وقال: سأذهب إلى الشيخ أبي جابر، أتريد أن تذهب معي، فقلت: لا، وسلّم لي عليه.

ثم اتصل بي صباح اليوم التالي وسألني: أين أنت؟ فقلت: في العمليات، فقال: نحن بدأنا العمل، فقلت: مصر على الدخول، فقال: نعم، فقلت: الله يحميك انتبه لنفسك، ثم كلمني بعد قليل، وقال: تقدمنا ولكن يوجد إطلاق نار كثيف علينا، وكان صوت الرصاص واضحا، ثم قال لي: اهتم بالشباب وبنفسك وكأنه يودعنا، وبعد ربع ساعة اتصل بي مرافقه ليخبرني أنه استشهد.

وكان مرافقه قد عرض عليه أن يلبس درعا، فقال: ولم؟ قد تدخل طلقة من هنا وأشار إلى أحد جنبيه وتخرج من هنا وأشار إلى جنبه الآخر، فكان كما قال، وقد تأثرت باستشهاده جدا ولم أتصور أن أتابع القيادة من دونه، فقدمت استقالتي إلى الشيخ أبي جابر، ولكنه رفضها، وقال: أنا أساعدك.

كان أبو جميل مهابا حازما في الحركة، لا يهمل موضوعا يحتاج إلى حل سواء أكان فيه طرفا أم لا، ولم يجرؤ أحد على عرض تغيير أبي جابر إلا بعد استشهاد أبي جميل رحمه الله.

ويقول أبو جابر صفر: شارك في معركة تحرير إدلب ودخل مقتحما على رأس جنوده من محور دير الزغب، والهدف من السيطرة على هذا المكان قطع الطريق الواصل بين كفريا والفوعة، وكان التحصين هناك شديدا، والدشم كلها متينة، والطلاقيات بمساواة الأرض، وهناك ارتقت روح أبي جميل رحمه الله.

يقول أبو شكيب: قبل استشهاد أبي جميل بيوم عققت عن ابنتي، ودعوت عددا من شباب الكتيبة بناء على طلب أبي جميل وشويت اللحم، فجعل الشباب يأكلون ويمزحون، وأبو جميل ساهما مفكرا لا يأكل، فأخذت سيخي لحم وذهبت بهما إليه، وقلت له: كل، فأكل لقمتين وتوقف، فقلت له: كل، ما لك؟ فقال: أشعر أنني أكلت زيادة، ثم أوصاني بزوجته وأولاده ووفاء دينه لصاحب الغاز، وقال: إذا أرادت زوجتي الزواج من بعدي فلا تمنعوها.

وترك ألف وخمسمائة دولار، وقال: هذه أمانة لتعمل فيها مضاربة وتوزع ربحها على الشباب، كما ترك أوراقا كثيرة أوصى بدفعها إلى الشيخ أبي جابر هاشم الشيخ، وفيها جميع الصادر المالي والوارد منذ تشكيل الكتيبة إلى وقته، وأوصى بسلاحه وسيارته -وهي خاصة- وحتى ثيابه للمجاهدين.

يقول الشيخ أبو محمد: قبل مقتله بيوم كان التجهيز لمعركة إدلب يجري على قدم وساق، وقد عزمت على المشاركة في تلك المعركة وأخبرت أبا جميل بذلك، واتفقنا على أن نلتقي في بنش -وهو المحور الذي سيدخل منه أبو جميل- في الثامنة صباحا، والمعركة ستبدأ في التاسعة أو العاشرة، فأعددت العدة اللازمة وجهزت سلاحي، فاتصل بي الإخوة في المكتب الإعلامي ليلة المعركة، وقالوا: نريد تسجيل كلمة مرئية معك، وهي ضرورية لتقدم فيها وصايا للمجاهدين: الرفق بالناس، والمحافظة على الممتلكات العامة، وعدم قتل الأسرى، وما إلى ذلك، فقلت: غدا إن شاء الله سأكون في المكتب الشرعي -المعمل الأزرق- في السادسة أو السابعة، وكنت أظن أن التصوير لن يستغرق سوى مدة يسيرة ثم أتابع طريقي إلى بنش، وفي اليوم التالي جاء الإعلاميون وأخذوا في إعداد المكان والآلات ولم ننته إلا في العاشرة صباحا، ولم تكن المعركة قد بدأت، فانطلقت مسرعا إلى بنش حتى وصلت إلى المقر المحدد، فسألت الإخوة: أين أبو جميل؟ فقالوا: خرج من نصف ساعة، فقلت لهم: كلموه عبر القبضة، وقولوا له: إني أريد الدخول إليه، فاستغرق الأمر خمس دقائق حتى تيسر الاتصال به، فلما كلموه أجاب: المعركة بدأت ولم يعد بالإمكان، قال الشيخ أبو محمد: فوقع في نفسي أنه قال ذلك لأنه لا يريد دخولي خوفا عليّ، فقلت: قولوا له: تمام، ولكن أين هو؟ فسألوه، فذكر أبو جميل المكان، فقلت لأخ في المقر: أعرفت المكان؟ فقال: نعم، فقلت: هيا بنا إليه، فدخلنا حتى وصلنا إلى نقطة الإسناد، وبينها وبين نقطة الاقتحام مائتان أو ثلاثمائة متر، فقال الإخوة: لا يمكن أن نتقدم بالسيارة أكثر من هذا، فترجلنا وكنا عشرة تقريبا، الإخوة الذين يرافقونني وبعض أعضاء المكتب الإعلامي، تقدمنا مشيا بين الشجر، وأثناء ذلك بدأت المعركة وأخذ الرصاص ينهمر كالمطر، وانتشرت طائرات العدو في سماء المعركة، فقال الإخوة: وقوفنا هنا غلط لنتراجع إلى نقطة الإسناد، فتراجعنا

إلى الإخوة في الإسناد، وجلسنا معهم ننتظر مجيء الأوامر بتقدم الإسناد، فقال الشباب: أعطنا درسا تحفيزيا، فبدأت بالدرس وأثناء ذلك سقطت قذيفة لا تبعد عنا سوى عشرة أمتار، وتابعت الدرس، ثم وصل أول جريح إلى نقطة الإسناد، فقطعت الدرس وقمت لأرى المصاب وأتحدث معه ريثما يأتي الفريق الطبي، ثم عرض الشباب عليّ التنقل بين نقاط الإسناد وإعطاء دروس شرعية لرفع المعنويات بوجود الشرعي العام للحركة، فأخذت أدور على النقاط والرصاص يتخلل طريقنا، وطال انتظارنا، ولم نتمكن من الوصول إلى أبي جميل، وعلمت أن الوصول إليه صار مستحيلا، فعدت إلى المقر لنستريح قليلا ثم نرجع لعل الوصول إلى أبي جميل يتيسر، فلما عدنا إلى المقر اتصل بي الإخوة في المكتب الشرعي وطلبوني لأمر ضروري، فلما وصلت إلى المكتب، قالوا لي: أتدري ماذا جرى؟ فقلت: ماذا؟ فقالوا: استشهد أبو جميل، فشعرت أن الدنيا أظلمت، وعدت مباشرة إلى بنش فرأيته مسجى، وذكر لي الإخوة أنه كان يسأل الله طلقة في صدره، وكان قد أوصى بتوزيع ملابسه.

يقول الشيخ أبو جابر: قبل مقتله بيوم زارني في أحد المقرات، وأخذ يخبرني عن الملفات التي في مسؤوليته، فقال لي: الملف الفلاني وصلت فيه إلى كذا، والملف الفلاني حدث فيه كذا، والملف الفلاني كذا، حتى عدّ سبع ملفات -وعرفت بعد استشهاده أنه كان يبرئ ذمته ويوصي قبل مقتله-، ثم قال لي: استأذنك أن أدخل غدا مع الشباب، فرفضت ذلك، فألح عليّ كثيرا، فقلت: ندخل إذن معا، فرفض، وما زال بي حتى أذنت له، فدخل واستشهد، أصيب في خاصرته في منطقة تدعى دير الزغب بين الفوعة وبنش.

يقول أحد إخوانه: كان آخر كلامه لي: زهدت في هذه الدنيا كلها، لا أحب شيئا إلا لقاء الله، وبقدر حبي أخافه.

وفي معركة تحرير مدينة إدلب كان مسؤولا للقطاع الشمالي، فدخل مع الاقتحاميين واستشهد، ثم نقل إلى قريته بنش ودفن فيها.

خطبته في المجاهدين قبل الشهادة:

قبل دخول أبي جميل وإخوانه خضم المعركة وقف فيهم خطيبا يحضهم ويعظهم ويثبتهم، فكان مما قال:

هي روح واحدة فلتكن في سبيل الله، إذا كنت ميتا ولا بد فمت عزيزا، إياك أن تكون جبانا أو خوارا، لا تطمع بالعودة ولا تنظر إلى الخلف أبدا عندما يلتقي الصفان، إذا انسحبت أو وليت الدبر دون عذر شرعي فليس وراءك إلا النار، إياك إياك.

صحح نيتك واعزم أمرك، إذا كنت مترددا فلا تدخل، استأذن من أميرك الآن، ولا تكن سببا في تخذيل إخوانك أو انسحابهم.

(ثم ذكر قصة أنس بن النضر وقوله: إني لأجد ريح الجنة دون أحد) وقال: والله إني أجد ريح الجنة دون هؤلاء الروافض، هنا الجنة في الجبهات وليست في المكاتب والنت.

لم آت لأقاتل أني أبو جميل بنش، أتيت أقاتل عن قيادة حركة أحرار الشام، أراد الشيخ أبو جابر أن يأتي فأبينا إلا أن أكون أنا مكانه، لا بد أن نري هؤلاء الروافض ما يسوؤهم وأروا الله منكم ما يرضيه.

احرصوا أن يكون الله سبحانه عنكم راض، لو نظر إليكم في أي لحظة لرآكم في المكان الذي يحب، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي).

جيش النبي عليه الصلاة والسلام يُحرم النصر بسبب مخالفة بعض الصحابة، أمر النبي تربية إلهية، نحن ننصر بالطاعة لا نتعلق بالأسباب، نأخذ بالأسباب والنتائج

على الله، وكما قرر شيخ الإسلام رحمه الله: ترك الأسباب قلة في العقل، والتعلق بها شرك، والتوحيد أن تجمع بينهما.

هذه المعركة كسر عظم بيننا وبين هؤلاء الروافض.
إخوانكم يقاتلون في الجبهة الأخرى، لا بد أن نتقدم من هذا المكان.
إذا قتل أحد من إخوانك فلا تقف عنده، بل احمله إلى طرف الطريق وامض إلى تحقيق الهدف الذي مات من أجله، أو مت على ما مات عليه، لا تقف عنده باكيا، امض لنصرة الأهداف والمبادئ التي خرج من أجلها.

لا تعمل إلا لله، لا تكن كمن يقاتل ليقال شجاع أو بطل، «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَإِنَّ أَحَدَنَا يُقَاتِلُ غَضَبًا وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، فَرَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ، قَالَ: وَمَا رَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ قَائِمًا، فَقَالَ: مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

فليكن قتالك لتكون كلمة الله هي العليا، لا تدخل إلى قلبك ما يفسد نيتك وينقص أجرك أو يبطل جهادك والعياذ بالله، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وفي الحديث القدسي الذي يرويه النبي عن ربه: (أنا أغنى الأغنياء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري؛ تركته وشِركه).

فلتر الله سبحانه منك ما يرضيه، ولتكن غايتك رضا الله وإعلاء كلمته ونصرة المستضعفين، واعلم أنك في كل لحظة تؤخر فيها أعداء الله عن الصيال على المسلمين لك فيها أجر عظيم، فكيف بك وقد هاجمت هؤلاء الصائلين وأرجعتهم عن ديار المسلمين، فأبشر بفضل الله وأجر عظيم.

(إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [سُورَةُ التَّوْبَةِ: 111].

فليكن لك نصيب من هذا النصر، ولتأخذ أجرا، فالنصر متحقق، وإياك أن تحرم الأجر.
(لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) [سُورَةُ النِّسَاءِ: 95].
وفي الحديث عن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي طَيْرٍ خُضْرٍ تَعْلُقُ مِنْ ثَمَرِ الجَنَّةِ أَوْ شَجَرِ الجَنَّةِ).

فأبشركم بكرم الله وعطائه منذ أن تفارق الروح الجسد (للشهيد عند الله سبع خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلة الإيمان، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويشفع في سبعين إنسانا من أهل بيته).

فماذا تريد بعد ذلك؟ أن تعود إلى القرية، أن تعود إلى الطعام والشراب، أن تعود إلى حور الطين، ماذا تريد؟
إذا امتن الله عليك بحفظه ورعايته فوصلت إلى الهدف الذي رسمت فإياك إياك أن تنظر إلى إخوانك بعين الضعف والاستحقار والاستصغار، كن ظهيرا لهم، كن درعا لهم، وليمضوا خلفك، وليمضوا إلى الله، إياك أن تستصغر أحدا، فلا تعلم منزلته عند الله، ولا تعلم منزلتك عند الله.

اللهم نصرك الذي وعدت، اللهم نصرك الذي وعدت، اللهم نصرك الذي وعدت.
اللهم لا تضيع رجالا خرجوا في سبيلك، ولا أرجلا اغبرت في سبيلك، ولا بطونا جاعت في سبيلك.

اللهم انصرنا على هؤلاء القوم الظالمين، اللهم سدد رمي المجاهدين، اللهم انصرهم يا رب العالمين، اللهم يا ناصر المستضعفين انصرنا يا رب العالمين.

ثم التفت إلى إخوانه كأنه يودعهم، وقال: أسأل الله أن تفلح وجوهكم وأن يكتب النصر على أيديكم وأيدي المسلمين أجمعين.

ملاحظة: أجريت بعض التعديلات اليسيرة على الخطبة، وقد أكون قدمت أو أخرت؛ إذ إن المقاطع التي بين يدي ليست مرتبة وفيها نقص.

يقول الشيخ أبو جابر: بعد مقتل أبي جميل تغيرت بعض الوجوه في الحركة وتغير بعض الناس، فقد كان أبو جميل عقبة في وجه البعض، وكان صاحب حجة وموقف.
يقول أبو زيد بنش: قال الشيخ أبو جميل مرة لنا في أوج الفتوح والانتصار وكنا قد ضربنا مستودعات مهين بل وصلت قواتنا إلى القارة في القلمون: لا يغرنكم ما نحن فيه من النصر والقوة، فوالله لو لم نطع أوامر الله ونعمل بها لنرجعن إلى الجبال نتخفى فيها، فسنن الله لا تحابي أحدا.

بعض ما قيل في رثائه:

يقول والده: أتمنى موتة كموتته أنا وأولادي الستة، وأنا أفتخر به، وما حزنت عليه لأني فقدته، وأتمنى أن يموت كل يوم لي ولد حتى ينتهوا ونرتاح من هؤلاء المجرمين الكفرة.

ويقول الشيخ أبو محمد: ما تأثرت في حياتي رغم كثرة الإخوة الذين فقدتهم كما تأثرت باستشهاد أبي جميل.
وقد خرج الشيخ جابر الشيخ أبو هاشم في مقطع مرئي بعد استشهاده فقال:
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
إلى أبناء أمتنا الغالية، وإلى إخواني في حركة أحرار الشام الإسلامية: أحسن الله عزاءنا وعزاءكم في أخينا أبي جميل قطب رحمه الله، وفي من قتل في إدلب وما سبقها من معارك، لن أتطرق إلى رثاء أبي جميل، وذكر مناقبه، وإنما حديثي عن بعض ما تعلمناه منه في حياته وبعد موته، فمما أثر عنه رحمه الله كلمة يكثر ترديدها: انظر أين تحب أن يراك الله.

فقد ذكر الله سبحانه وتعالى ثماني محبوبات عنده؛ فالله يحب التوابين، ويحب المتطهرين، ويحب الصابرين، ويحب المحسنين، ويحب المتوكلين، ويحب المقسطين، ويحب المتقين، وآخرها ترتيبا في القرآن: إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص.

اختصرها أبو جميل رحمه الله بهذه الكلمة، فانظر أخي المجاهد إلى هذه المحبوبات عند الله وأين موقعك منها، فالثامن وهو ذروة سنامها، وقد تحققت به عملا، فلا بد أن تأخذ حظك من المحبوبات السبعة لتكتمل عندك أهلية الاصطفاء والاجتباء (وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ).

التقيت به منذ أيام وتحدثنا عن الحركة ومسارها بعد مقتل الإخوة تقبلهم الله، فانهمرت عيناه بالبكاء وأوصاني بالثبات والحفاظ على المشروع، فأبو جميل لم يختر مشروع الأحرار على ما سواه إلا لقناعته أنه الأقرب إلى الحق متمثلا باعتداله وبعده عن الغلو والتفريط، وتعظيمه لشأن العلماء، واسترشاده بهديهم ونصحهم، وحرصه على الوحدة والاعتصام وجمع الكلمة بين الفصائل المقاتلة، وقربه من الناس، وتقديره لأحوالهم وأعرافهم.

إن مقتل أبي جميل في الصف الأول في معركة إدلب لهو رسالة لأبناء الحركة: أن سيروا على سير قادتكم الذين صدقوا قولهم بدمائهم، ورسالة إلى شعبنا الحبيب: أننا لم نخرج بحثا عن منصب أو سلطة، ما خرجنا إلا دفاعا عنكم والذود عن دينكم وأعراضكم، فها هي نحورنا دون نحوركم، وأبشروا فالحركة تذخر بالكثير من القادة الذين صقلتهم التجارب وحنكتهم السنون، ورسالة إلى بقايا النظام ومرتزقته: أنا قد جئناكم برجال يحبون الموت كما تحبون الحياة، فو الله لن نهين ولن نستكين حتى نطهر الأرض من رجسكم أو نفنى جميعا دون ذلك، اللهم ثبت أقدام المجاهدين وبارك في جهدهم ودمائهم وأتمم عليهم بالفتح المبين، اللهم تقبل أخي أبا جميل ومن قتل من إخواننا واقبضنا على ما ساروا عليه غير خزايا ولا مبدلين، والحمد لله رب العالمين.

- أسرة تحرير مجلة نور الشام: الشيخ المجاهد يوسف قطب (أبو جميل) -تقبله الله في الشهداء-

الشيخ المجاهد يوسف قطب (أبو جميل)، من بلدة بنش في ريف إدلب، نائب المهندس أبو جابر الشيخ قائد حركة أحرار الشام للشؤون العسكرية.

سجنه نظام الأسد سبع سنين، خرج بعدها ليكمل طريق الجهاد، ما عهده المجاهدون إلا شجاعاً صاحب نخوة يُعتمد عليه في الملمات، أول من أنشأ مجموعة عسكرية في بداية الثورة في بنش مع صاحبه أبو يوسف تقبلهما الله، وهما من مؤسسي حركة أحرار الشام الإسلامية.

صارماً في الحق مع دماثة في الخلق مما أورثه جاذبية مشتركة؛ حيث اجتمع عليه أهل بلدته.. ومن ثم خارج بلدته..

انتدب ليكون مسؤولاً خارجياً للحركة في تركيا وانتقل لأجل ذلك.. لكن لم تطب له الحياة خارج الثغور فعاد نائباً للقائد العسكري العام للحركة.. ثم يسر الله له الحج في هذه السنة.

بعد وفاة قادة أحرار الشام؛ جمع الله به الكلمة من خلال مبادرته العاجلة في تعيين القيادة الجديدة والتي كان هو مهندسها، وهو من أعلن عنها في البيان المرئي الذي خرج به؛ ولعله من خير أعماله حيث درء به فتنة وثبت به القلوب.. قال اليوم كلماته الأخيرة، ذكر رفاقه بالشهادة وأن الشهيد في حواصل طير خضر، ومضى أول المقتحمين يتعجل اللقاء.

اخترقت رصاصات الموت جسده الطاهر ليرتقي شهيداً جميلاً مبتسماً ليلتحق بموكب الشهداء، وليعاد إلى مدينته بنش.. ويدفن بجوار رفيق دربه أبو يوسف..

قال فيه الشيخ عبد الهادي علوش: نحسبه من الصادقين المخلصين، مثال في الشجاعة والإقدام، لا يعرف التردد طريقاً إليه، خرج بنفسه ليقارع الظلم، بصدقه

انكشف له الحق الذي توقف فيه كثير من العلماء، فما تردد لحظة في دفع بغي داعش، اشتهر في السجن بتربيته لإخوانه الذين كانوا يلتفون حوله، فكان قطباً بحق، يتزود من عمل الليل ليقوم بعمل النهار.

لمثله قال المتنبي:

إنْ كنت تكبرُ أن تختال في بشرٍ ... فإنّ قدرك في الأقدار يختالُ

كأن نَفْسَكَ لا ترضاك صاحبها ... إلا وأنتَ على المفضال مِفضَالُ

وَلا تعُدُّكَ صَوّاناً لمُهْجتها ... إلاّ وَأنْتَ لهَا في الرّوْعِ بَذّالُ

لَوْلا المشقة ساد النّاسُ كُلُّهُمُ ... الجُودُ يُفْقِرُ وَالإقدامُ قَتّالُ

الخاتمة

لقد اجتمعت في أبي جميل رحمه الله صفات القائد الرباني المتأسي بالنبي عليه الصلاة والسلام.

فقد كان يقتحم مع إخوانه مكامن الخطر، ويتقدم الصفوف وينخرط في المعارك.

كان يسوي في الحق بين الشريف والضعيف ولا يحابي ذا قرابة لقرابته ولا غنيا لماله، يعيش كما يعيش العناصر لا يفضل نفسه عليهم بشيء، ولا يرفع قرابته على أعناق المجاهدين.

كان يرفض أن يتحكم الداعمون بالقرار أو يملوا عليه شروطا لا تتفق مع عزة المجاهد وأنفة المجاهدين، لا يتلون كالحرباء حسب الظروف والمصالح، ولا يتنازل عن المبادئ والثوابت مع وسطيته وبعده عن الغلو والتنطع والتشدق.

لم يؤثر عنه قط أنه استغل منصبه ليحقق مأربا دنيويا أو مصلحة شخصية، يبغض النفاق والمنافقين كأشد البغض.

كان متعففا عن أموال المسلمين، لا يبحث عن الفتاوى الشاذة والأقوال المتردية والتخريجات النطيحة والآراء التي قاءها الشيطان ليأكل الأموال التي حرمها الله.

كان يختلف مع إخوانه من الفصائل الأخرى ويبقي الخلاف في دائرة ضيقة؛ ليقطع على شياطين الإنس والجن طريقهم في الإفساد.

كان ذا هيبة نابعة من قوته في الحق وقيامه بالقسط، وكانت هيبته تلجم كثيرا من العابثين في الجهاد والمجاهدين.

كان يعتبر الثورة الشامية جهاد أمة بحق؛ فلم يكن يحتقر أحدا أو يستصغره، يؤمن أن الثورة لإعلاء كلمة الله ورفع الظلم الذي جثم عقودا طويلة على صدور المسلمين، وأن البديل عن النظام الطاغوتي لا بد أن يكون نظاما إسلاميا راشدا يعطي كل ذي حق حقه، وليس نظاما جبريا ظالما يسلب الناس حقوقهم ويبغّضهم في شرع الله ويصادر حرياتهم باسم الدين كذبا وزورا.

كان متواضعا رقيق القلب عف اللسان متعبدا زاهدا في حطام الدنيا ومتاعها الزائل.

كان يعلم أن المنصب مسؤولية ومغرما وليس مكسبا ومغرما، فكان يفر منه، فإذا تحتم عليه قام بالأمانة خير قيام دون مداهنة أو تأكّل أو نفاق.

رحم الله الشيخ الفاضل المجاهد الصابر القوي الأمين يوسف قطب أبا جميل، وغفر ذنبه، ورفع درجته، وأعلى مقامه، ورزق الأمة آلافا أمثاله، وجمعنا به مع نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وصحبه في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

الفهرس

ولادتــه ونشــأته 2
الانقــلاب الكبيــر في حياتــه 2
اعتقاله الأول 3
زواجــه وأولاده 4
اعتقاله الثانــي 4
استشــهاد أخيــه عبــد الباقــي 8
مشــاركته في الثــورة الســورية 9
استشهاد أحمد عســاف 12
موقفه من الخــوارج 17
بعد استشــهاد القادة وأهم المناصــب التــي شــغلها 20
أخلاقه 22
عبادته 27
ورعه وشــدته في دينه ورفضه المســاومات 30
استشــهاده 39
خطبتــه قبــل استشــهاده 44
بعــض مــا قيــل في رثائــه 47
الخاتمــة 50